christianlib.com

دراسات في الكتاب المقدس

أوغسطينس جورج

دراسة في الإنجيل كما رواه لوقا

١٥

دار المشرق - بيروت

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

أوغسطينس جورج

دراسة في الإنجيل كما رواه لوقا

نقلها إلى العربية

الأب صبحي حموي اليسوعي

١٥

دار المشرق ش.م.م - بيروت

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

سلسلة
«دراسات في الكتاب المقدس»
المدير : **الأب أنطوان أودو اليسوعي**

لا مانع من طبعه
بولس باسيم
النائب الرسولي للاتين
بيروت ٢٥ شباط ١٩٨٩

ISBN 2 - 7214 - 4566 - 9
جميع الحقوق محفوظة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٩ .
دار المشرق ش.م.م — ص. ب. ٩٤٦ — بيروت

التوزيع
المكتبة الشرقية ، ص. ب. ١٩٨٦
بيروت ، لبنان

جمعيات الكتاب المقدس في المشرق
ص. ب. ٧٤٧ — ١١ ، بيروت ، لبنان

تصميم الغلاف : **جان قرطباوي**

صدر هذا الكتاب بالفرنسية تحت العنوان التالي :
Pour lire l'évangile selon Saint Luc
Cahiers Evangile, N° 5
Editions du Cerf, Paris 1973

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

انجيل لوقا

في أيدينا اربعة أناجيل، يُنسب ثالثها، منذ أواخر القرن الثاني، الى لوقا (ايريناوس). وفيه تتجلّى العلامات المميِّزة الآتية:

* إنه الانجيل الوحيد الذي استُتبع بكتاب ثانٍ هو سِفر أعمال الرسل (راجع رسل ١ / ١ — ٢). فيبيِّن لوقا بذلك كيف ان تلاميذ يسوع فهموا وواصلوا عمله وكلامه.

* ينتمي عمل لوقا، بلغته وأسلوبه وانشائه وعقليته، الى العالم الهلّنستي. وهذا العالم اليوناني هو الذي أراد لوقا ان يعرّفه بيسوع وبرسالة تلاميذه. وبذلك يشبه عملُ لوقا عملَ بولس، فكلاهما يشهدان على انتقال الانجيل من العالم الفلسطيني الى العالم الهلّنستي (وفي ذلك أوّل تحوّل ثقافي عرفه تاريخ الكنيسة).

* تكشف الميزات التي أشرنا اليها عن وجود كاتب وراءها. لا شكّ أن لوقا استخدم موادّ أخذها من التقليد، لكنه اختارها ونسّقها وحرَّرها. ومن خلال هذا العمل الأدبي، يظهر لنا تفسير وفكرة، ونكتشف، في آخر الأمر، شخصية جذّابة الى حد بعيد. وقد عُرِفَ لوقا، منذ زمن طويل، بأنه صاحب ذوق غربي يتّسم بالوضوح، وبأنه فنّان بارع. لا بل هو مؤمن شديد التمسُّك بالمسيح المخلّص وبعمله الخلاصي في سبيل المؤمنين، ولا سيّما المساكين منهم والنساء والخاطئين والوثنيين. وطالما قيل فيه إنه خير مصوِّر لوداعة المسيح.

الميزات الادبية في عمل لوقا

ان قابلنا إنجيل لوقا بإنجيل متى، وبإنجيل مرقس خاصةً (ومن الواضح أنه اعتمده مصدراً)، رأينا أنه يمتاز بالعلامات التالية:

* لغته كثيرة التنوُّع، يطغى عليها الطابع اليوناني، في الروايات على الأقلّ. غير أن الطابع الساميّ هو الذي يطغى عليها في أقوال يسوع.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وفضلاً عن ذلك، يبدو أن لوقا تعمَّد استعمال لغة الكتاب المقدس اليوناني (الترجمة السبعينية) في إنجيل الطفولة. وهذه الميزات المختلفة تدلّ، في آن واحد، على ثقافة لوقا وفنّه (فهو ينوّع أسلوبه بتنوّع المواضيع) وعلى احترامه لأقوال المعلّم (فهو ينقلها بأمانة تفوق أمانته في نقل سائر ما اقتبسه من التقليد).

* يصوغ عناصر هذا التقليد صياغة واضحة، سواء أكانت روايات أم معجزات أم أمثال... مضيفاً إليها المقدِّمات والخاتمات، وهذا ما لا نجده في عمل نظيرَيه متى ومرقس (قارنْه مثلاً بـلو ٣/ ١٥ و١٨ و٢٠ و٥/ ١٢ و١٥ — ١٦...)، وجاعلاً في بداية رواياته ما لا بدّ من المعلومات لادراك معنى النص (٥/ ١٧ و٨/ ٤٢...).

* إنه مبتكر في صياغة إنجيله الإجمالية: فهو، بتجميعه كثيراً من المواد التي أخذها من التقليد، في إطار رحلة الى أورشليم (من ٩/ ٥١ الى ١٩/ ٢٨)، يقسِّم إنجيله الى ثلاثة مقاطع، ويقسِّم «الرحلة» نفسها الى ثلاثة مقاطع يستهلّها بنُبذ ٩/ ٥١ و ١٣/ ٢٢ و ١٣/ ١١ ويختمها بالأمثال الواردة في ١٣/ ١٨ — ٢١ و ١٧/ ٧ — ١٠ و ١٩/ ١١ — ٢٨. أمَّا القسم الثالث من الإنجيل، فهو محصور بكامله في اورشليم، هدفِ الرحلة، خلافاً لما هو في متى وربّما في مرقس الأصلي.

وهناك عدّة مشاهد ينقلها لوقا من موضعها الى مكان آخر يراه أكثر «تعبيراً». منها عظة يسوع التي افتتح بها خدمته الرسولية في مجمع الناصرة (٤/ ١٦ — ٣٠)، فهي تسبق في الزمن ما يوازيها في متى (١٣/ ٥٣ — ٥٥) ومرقس (٦/ ١ — ٦)، وعلى ذلك نجد دليلاً عند لوقا نفسه (قارنْ ٤/ ٢٣ بـ ٤/ ٣١). والغاية من هذا المشهد أن يأتي لوقا، في بداية خدمة يسوع الرسولية، بصورة سابقة لرسالته التي تقوم على النبوءات والتي رفضها شعبه. وفي لو ٥/ ١ — ١١، تتأخر دعوة التلاميذ الأوّلين في الزمن عمَّا هي في متى ٤/ ١٨ — ٢٢ ومر ١/ ١٦ — ٢٠ (راجع لو ٤/ ٣٨)، ولا شك أن السبب يعود الى رغبة لوقا في أن يكون ما سبق من التبشير والمعجزات تمهيداً معقولاً لتلك الدعوة. وفي لو ١٩/ ١١ — ٢٨، أيضاً، يأتي مثل الأمْناء في نهاية الرحلة (خلافاً لما ورد في متى ٢٥/ ١٤ — ٣٠) تمهيداً للرفض الذي لقيه يسوع من قِبَل اسرائيل (راجع ١٩/ ١٤).

مشروع لوقا

ينفرد لوقا بين الإنجليين الأربعة باستهلال كتابه بمقدِّمة (١/ ١ — ٤) يشرح فيها ما أراد أن يعمل وما هي الطريقة التي انتهجها. وفي مطلع سفر أعمال الرسل، مقدِّمة أخرى أكثر إيجازاً تحيل الى الأولى (رسل ١/ ١ — ٢). وفيها يفيد لوقا بأنه سيتحدّث عن «الأمور التي تمَّت عندنا». وسنعلم ممَّا يلي بأنه يعني بها حياة يسوع ونشأة الكنيسة. ليس هو أوّل من عالج هذا الموضوع، فهناك من سبقه الى ذلك (ويجوز لنا أن نشير هنا الى إنجيل مرقس). لكنه يستند، قبل كل شيء، الى «تقليد» «الذين كانوا منذ البدء شهود عيان

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

للكلمة، ثم صاروا عاملين لها»، وهم المبشّرون بالإنجيل وفي طليعتهم الرسل.

ويحدّد لوقا بعد ذلك منهجه، فلقد «تقصّى الأمور من أصولها» وأراد أن يكتبها «مرتّبة». وسنعلم ممّا يلي بأنه لا يقصد الترتيب الزمني بقدر ما يقصد الترتيب التعليمي، فيكون إنجيله عرضاً مدروساً للحدث الخاصّ بيسوع ولتعليمه.

وفي الأخير يهدي لوقا كتابه الى تاوفيلس (راجع رسل ١ / ٢)، جارياً بذلك على عادة المؤلّفات الهلّنستية. من الواضح أن الشخص الذي يوجّه إليه الكتاب ليس هو المرسَل إليه الوحيد، فإن لوقا يقصد في الواقع جمهوراً كبيراً. ولكن لا بدّ أن يكون للمؤلّف كفيل رسميّ، لا بل ربّما مشجّع يساعد على انتشاره.

تدلّ هذه المقدّمة، فيما تدلّ، على الميزة الهلّنستية التي يتّسم بها عمل لوقا، علماً بأنه يوجّه كتابه الى العالم اليوناني في زمنه. فيظهر بمظهر مؤرّخ من مؤرّخي ذلك الزمان، يستند الى من سبقه ويبحث عن المعلومات ويهتم بالترتيب في عرض الأمور.

لكنّ التاريخ الذي يكتبه ينطوي على ميزة خاصة الى حدّ بعيد. ففي الأحداث التي يرويها، يرى تدخّل الله. ويقتبس معلوماته من تقليد مقدّس، هو تقليد شهود كلمة الله وخدّامها. لا شك أن عمله هو منه، موسوم بلغته وأسلوبه وفنّه. لكن هذا العمل هو، قبل كل شيء، عرض لتقليد الكنيسة وإنجيل الرسل.

أهمّ مواضيع الإنجيل

أشرنا، منذ لحظة، الى أن هدف لوقا الوحيد هو نَقْل التقليد الرسولي الى قرّائه وتعريفهم بالحدث الخاصّ بيسوع. وهو يمتاز، ككلّ خادم للكلمة، بطريقته الخاصّة في عَيش تلك الكلمة وفهمها والتعبير عنها. وله من طبعه ومحيطه وخبرته ما يجعله أشدّ تأثّراً بوجه من وجوه الرسالة. نراه يختار موادّه ويصوغها ويحرّرها وفقاً لشخصيته. وطالما اكتشف المفسّرون، في إنجيله، تلك العلامات المميّزة التي تتّسم بها مواضيعه الكبرى. وها هي بإيجاز:

الموضوع الرئيسي هو، كما في كلٍ من الأناجيل، عمل يسوع وشخصه. والفارق الابتكاري الذي يأتي به لوقا في العَرض الذي يقوم به هو أنه يرى عمل يسوع وشخصه يظهران على مراحل:

* في إنباءات العهد القديم (بأقوال الأنبياء وأعمالهم، وهي صور سابقة: «الرمز المثالي») وفي البلاغات الفائقة الطبيعة التي وردت في إنجيل الطفولة.

* في حياة يسوع على الأرض، وفيها نشعر شيئاً فشيئاً بتحقيق تلك الإنباءات.

* في الفترة الزمنية التي تبدأ في الفصح، وفيها أخذ يسوع يتصرّف بصفته ربًّا، بالروح.

وهذه المراحل الثلاث تقابلها ثلاثة أطوار متتالية عند شعب الله: اسرائيل القديم، حامل المواعد، وفريق المؤمنين الذين يلبّون دعوة يسوع ويجتمعون حوله، والكنيسة التي يدعو الرسل إليها إبتداءً من العنصرة والتي تكوّنها رسالتهم شيئاً فشيئاً

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

لاكتشاف حساسية لوقا
من خلال بعض النصوص...

يسوع هو «الرب»: ٧ / ١٣ و ١٩ و ١٠ / ١ و ٣٩ و ٤١ و ١١ / ٣٩ و ١٢ / ٤٢ و ١٣ / ١٥ و ١٦ / ٨ و ١٧ / ٥ — ٦ و ١٨ / ٦ و ١٩ / ٨ و ٢٢ / ٣١ و ٦١ (مكرَّر) و ٢٤ / ٣.

«المخلِّص»: ٢ / ١١ ورسل ٥ /٣١ و ١٣ / ٢٣.

إيليا «مثال» يسوع: ٤ / ٢٦ و ٧ / ١٢ و ١٥ و ٩ / ٤٢ و ٥١ و ٥٤ / ٥٧ و ٦١ — ٦٢ و ٢٢ / ٤٣ و ٤٥.

اهتمام لوقا ببعض الأشخاص:

- المساكين والصغار: ٤ / ١٨ و ٦ / ٢٠ و ٧ / ٢٢ و ١٠ / ٢١ و ١٤ / ١٣ — ١٤ و ٥١ و ١٦ / ١٩ — ٢٦ و ١٨ / ٢٢ و ١٩ / ٨.
- الخاطئون: ٥ / ٢٩ — ٣٢ و ٧ / ٣٤ — ٥٠ و ١٥ / ١ — ٢ و ١٩ / ١ — ١٠ و ٢٣ / ٤٠ — ٤٣.
- النساء: ٧ / ١٢ — ١٥ و ٧ / ٣٦ — ٥٠ و ٨ / ٢ — ٣ و ١٠ / ٣٨ — ٤٢ و ١٣ / ١٠ — ١٧ و ١٨ / ١ — ٨ و ٢٣ / ٢٧ — ٣١.

«صورة» التلميذ:

- التوبة: ٥ / ٣٢ و ٧ / ٣٦ — ٥٠ و ١٣ / ١ — ٥ و ١٥ / ١ — ٣٢ و ١٦ / ٢٧ — ٣١ و ١٩ / ١ — ١٠ و ٢٣ / ٣٩ — ٤٣.
- الايمان: ١ / ٢٠ و ٤٥ و ٧ / ٥٠ و ٨ / ١٢ — ١٣ و ٤٨ و ٥٠ و ١٧ / ٥ — ٦ و ١٢ — ١٩ و ١٨ / ٨ و ٤٢ و ٢٢ / ٣٢ و ٢٤ / ٢٥.
- المحبة الأخوية: ٦ / ٢٧ — ٤٢ و ١٠ / ٢٥ — ٣٧ و ١٧ / ٣ — ٤ تدل عليها الصدقة: ٦ / ٣٠ و ١١ / ٤١ و ١٢ / ٣٣ و ١٦ / ٩ و ١٨ / ٢٢ و ١٩ / ٨ و ٢١ / ١ — ٤ وراجع رسل ٩ / ٣٦ و ١٠ / ٢ و ٤ و ٣١ و ١١ / ٢٩ و ٢٤ / ١٧.
- الصلاة: ١١ / ١ — ١٣ و ١٨ / ١ — ٨ و ٢١ / ٣٦ و ٢٢ / ٤٠ — ٤٦.
- الزهد في النفس: ٥ / ١١ — ٢٨ و ١٢ / ١٣ — ٣٤ و ١٤ / ٣٣ و ١٦ / ١ — ١٣ و ١٨ / ٢٤ — ٣٠.
- الفرح أمام التبشير بالخلاص: ١ / ١٤ — ٢٨ و ٤١ و ٤٤ و ٤٧ و ٢ / ١٠ و ٦ / ٢٣ و ٨ / ١٣، أمام المعجزات: ١٠ / ١٧ و ١٣ / ١٧ و ١٩ / ٣٧، والغفران: ١٥ و ١٩ / ٦، أمام قبول الرسالة: ١٠ / ٢١ وتجلّي سرّ الفصح: ٢٤ / ٥٢ — ٥٣.

آنيَّة («اليوم») الخلاص: ٢ / ١١ و ٣ / ٢٢ و ٤ / ٢١ ورسل ١٣ / ٣٣ وراجع لو ٥ / ٢٦ و ١٩ / ٩ و ٢٣ / ٤٣. الخلاص المحقَّق في آخر الأزمنة: ٩ / ٢٦ و ١٢ / ٣٥ — ٤٨ و ١٧ / ٢٢ — ٣٧ و ١٨ / ٨ و ١٩ / ١١ — ٢٧ و ٢١ / ٥ — ٣٦.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

حتى أقاصي المعمور، متخطّيةً الانفصال القديم القائم بين اليهود والوثنيين. ولا عجب أن يولي لوقا اهتماماً خاصاً لدخول الوثنيين في شعب الله.

يستعمل لوقا، للدلالة على هذا العمل، مفردات مبتكرة لا نجدها عند مرقس ومتى، وتُشعرنا بتفسيره الشخصي. فيسمّي يسوع «ربًّا» و «المخلِّص»، وفيه «الخلاص». لقد أخذ هذه الكلمات من الكتاب المقدّس اليوناني، لكنها تتوافق الى حدّ بعيد مع ما يتوقّعه ويسعى إليه العالَم الهلّنستي الذي يوجِّه لوقا عمله إليه.

وإذا صحّ أن لوقا ينظر الى أحداث روايته من وجهة نظر تاريخ خلاص الشعب الإسرائيلي، فإنه يولي، في الوقت نفسه، اهتماماً خاصاً للأشخاص: لرجال العهد القديم الذين كثيراً ما يُظهرهم بمظهر «رموز مثالية» هي صور سابقة للمسيح، وليسوع نفسه بوجه خاص، وللرسل ولسائر حَمَلَة الكلمة، مؤسِّسي الكنيسة، لا بل للوضعاء أيضاً والفقراء والمساكين الذين هم المفضَّلون بين المستفيدين من البشرى. ويُلحِق بهم جميع الهامشيين، كالخاطئين المعروفين، والنساء، وما أشدّ غيابهنّ عن الحياة الاجتماعية في العالم الفلسطيني! ونحن نعلم بأن مريم تقوم بدور طليعي في إنجيل الطفولة عند لوقا (وهو يختلف كل الاختلاف عن إنجيل الطفولة عند متى)، وهي تظهر أيضاً ظهوراً متواضعاً في لو ١١ / ٢٧ — ٢٨ ورسل ١ / ١٤.

ونرى أيضاً اهتمام لوقا بالأشخاص في الشأن الكبير الذي يوليه للمساعي الفردية التي يقوم بها تلاميذ يسوع (وقد كثُر الكلام على الفن «الارشادي» عند لوقا، اي على المكانة التي يخصّ بها الارشاد الفردي والديني والاخلاقي). وهو يصف حياة التلميذ بالتحوّل الباطني وبالمحبة الأخوية التي تدلّ عليها الصدقة. وهذه الحياة هي الصلاة أيضاً، والزهد في النفس الذي لا ينافي الفرح، وهو يشعّ في كل صفحة من صفحات الانجيل: أمام التبشير بالخلاص والمعجزات وأعمال المغفرة، وأمام الترحيب بالرسالة أو الكشف عن سرّ الفصح.

ان انجيل لوقا هو أكثر الأناجيل إبرازاً للمراحل المتعاقبة التي مَرَّ بها تاريخ الخلاص: فهناك العهد القديم، وزمن يسوع، وزمن الكنيسة، والتحقيق الأخيري في النهاية. ومع ذلك، فإن إنجيل لوقا هو أشد الأناجيل إعلاناً لـ«آنيَّة» الخلاص. وبذلك يعبِّر، ليس إلاَّ، عن فكر يسوع الذي علَّم أن ملكوت الله سيأتي، مع أنه حاضر منذ الآن في عمله. ففي نظر لوقا، أُعطي لنا كل شيء في يسوع المسيح.

صاحب الانجيل الثالث

ان الانجيل الثالث لا يحمل اسم صاحبه (علماً بأن العناوين الحالية التي تسمّي أصحاب الاناجيل لم تظهر إلاَّ بعد ذلك في المخطوطات). وأمامنا طريقان للوصول الى معرفة صاحبه.

١. درس الكتاب، فهو يأتينا ببعض المعلومات عن الذي وضعه. صحيح أن «الانشاء هو الانسان»، ولا شك أن هذا القول ينطبق بوجه خاصّ على انجيل لوقا. رأينا منذ لحظة أن صاحب الانجيل الثالث هو رجل مثقَّف ينتمي الى

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

العالَم الهلّنستي، وفنّان رقيق الشعور، ومؤرِّخ يهتمّ بالاشخاص الذين يتحدَّث عنهم، بيسوع قبلَ كل شيء، بل بالرسل أيضاً ولا سيّما ببولس. وهو، فضلاً عن كل ذلك، مؤمن وتلميذ وجد الخلاص في يسوع المسيح ولا يريد إلاَّ أن يتبعه.

عن هذا الكتاب، نجد في سفر أعمال الرسل ما هو كبير الفائدة في المقاطع التي تروي لنا رحلات بولس الرسولية والتي يستعمل فيها الراوي صيغة المتكلّم في الجمع. لم نعد نرى اليوم في تلك المقاطع مجرَّد بقايا يوميَّات سَفَر دُوِّنت عند وقوع الاحداث. فلقد يكون المؤلِّف قد حرَّرها بعد ذلك في صيغة المتكلّم للدلالة على أنه كان حاضراً لدى وقوع أحداث قديمة. وهذا الفن الأدبي كان شائعاً عند كتَّاب ذلك الزمن. لكن هذا الأسلوب — ان كان هناك اسلوب — لا يخلو من المعنى، فهو يشير الى شهادة الذي شارك في الاحداث. يريد صاحب سفر أعمال الرسل (ويبدو أنه صاحب تلك المقاطع) ان يقول للقارئ إنه شارك في بعض رحلات بولس، حوالى السنوات ٥٥ — ٦٠. من الواضح انه وضع إنجيله بعد هذا التاريخ، ولكن لا يمكن أن يكون قد وضعه بعد السنوات ٨٠ — ٩٠.

يناقش عدَّة مفسِّرين وجهات النظر هذه لاعتبارات لاهوتية. فإن الأفكار الواردة في الانجيل الثالث وبوجه خاص في سفر أعمال الرسل تبدو لهم مختلفة كل الاختلاف عن أفكار بولس، فلا يمكن أن يُنسَبا الى تلميذ مباشر من تلاميذ الرسول العظيم (وأهمّ ما يختلفان عليه هو رأيهما في الشريعة اليهودية، والطابع الذي يتّسم به موت يسوع، والبنيات التي تقوم عليها الكنيسة، ودنوّ مجيء المسيح). لا شك أن أفكار لوقا تختلف عن أفكار بولس في هذه الأمور وفي غيرها. لكن لوقا يكتب بعد موت بولس بنحو عشرين سنة، وفي اوضاع جديدة. وليس هو رَبَّانياً يهودياً، بل هلّنستياً مثقَّفاً. وهل نجد كثيراً من التلاميذ الذين ينقلون بدقةٍ أفكار معلّمهم؟ ولذلك لا يبدو لنا مستحيلاً أن ننسب الانجيل الثالث وسفر أعمال الرسل الى أحد رفاق بولس.

٢. عدّة شهادات خارجة عن هذَين الكتابَين تنسبهما الى لوقا:

لا وجود لأيّ منها في نصوص العهد الجديد. لكن بولس يذكر لوقا ثلاث مرَّات بين رفاقه في الأَسْر (قول ٤ / ١٤ و ف ٢٤ و ٢ طيم ٤ / ١١)، وفي كل مرة الى جانب مرقس. وقد ورد في قول ٤ / ١٠ — ١١ أن لوقا ليس يهودياً، وهو يوصف بـ «الطبيب الحبيب» في ٤ / ١٤.

وإليه نسب ايريناوس، بعد ذلك بمئة سنة (حوالى ١٨٠)، الانجيل الثالث وسفر اعمال الرسل. ولربَّما أتى أسقف ليون بهذه المعلومات من مسقط رأسه آسية.

ومنذ ذلك الحين، أصبحت هذه النسبة ثابتة لا تقبل الجدل: في رومة وفي الزمن نفسه (قانون موراتوري)، وفي القرن الثالث وفي أفريقيا الرومانية (ترتليانس) وفي الاسكندرية (اوريجينس). وفي القرن الرابع، أتى مؤرِّخو الكنيسة الأولى (اوسابيوس القيصري،

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وهيرونيمس...) ببعض المعلومات الاضافية حول نشأة لوقا في انطاكية وأيّامه الأخيرة في بلاد اليونان...

أخذت تلك المعلومات التقليدية تظهر بعد كتابة الانجيل الثالث وسفر اعمال الرسل بمئة سنة بالضبط. ووصلت الينا عنها شهادات يرقى عهدها الى وقت مبكر وتنتمي الى مختلف كنائس عالم البحر الأبيض المتوسّط. ويبدو أنها لم تَلْقَ أية معارضة.

وهي تلتقي، من جهة أخرى، على ما ورد في الكتابَين من معلومات حول مؤلِّفهما.

ولذلك، فإن نسبة الانجيل وسفر اعمال الرسل الى لوقا تقوم على دلائل وجيهة.

طريقة البحث

للاهتداء الى فكرة لوقا الأصيلة، سنستخدم دائماً مقاربتَين.

إن مقارنة نص لوقا بنص متى ولاسيّما بنص مرقس الذي يبدو أنه اتّخذه مصدراً، يُظهر أن هناك ملامح خاصة بلوقا في الصياغات التفصيلية وفي تركيب العناصر والمجموعات. قد تعود هذه الميزة الخاصة طبعاً، إمّا الى قلم لوقا، وإمّا الى المصادر التي استخدمها. لكن لوقا، حتى في الحالات التي يكتفي فيها بنقل مصادره، يتبنّاها ويُظهرها بمظهر انجيل يسوع. (سنباشر كل بحث في نص من النصوص بتلك المقارنة، ان أمكن الأمر. فلا يحسن بنا أن نتراجع أمام طابعها التدقيقي).

ان البحث الكامل في عمل لوقا، وهو عمل ضخم (علماً بأن انجيل لوقا وسفر أعمال الرسل يشكّلان أوسع مجموعة أدبية في العهد الجديد)، يمكّن من الاهتداء الى ميزات لوقا في المفردات والصرف والنحو والانشاء والفنون الأدبية والمواضيع... التي انفرد بها. وانطلاقاً من هذه المعلومات (وبعضها أثبت من بعضها الآخر)، يمكننا أن نلاحظ في النصوص عمل لوقا الأدبي وأن نقارب بذلك فكره.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

سرّ يسوع

إن الموضوع الأول في إنجيل لوقا، كما في كلٍ من الأناجيل، هو تجلّي الله في يسوع المسيح.

وهذا التجلّي أراد لوقا أن يصفه «مرتّباً» (١ / ٣). لكننا نرى في الواقع أنه وصفه بطرق تختلف باختلاف أقسام انجيله المتتالية:

* المقدّمة (من ١ / ٥ الى ٤ / ١٣)، وفيها عرض واضح لسرّ يسوع، في سلسلة أقوال إلهية.

* وفي القسم الأول من رسالة يسوع (من ٤ / ١٤ الى ٩ / ٥٠)، أعمال وأقوال ليسوع تحمل التلاميذ شيئاً فشيئاً على الشعور بأن يسوع هو المسيح ابن الله.

* صعود يسوع الى اورشليم (من ٥ / ٥١ الى ١٩ / ٢٨)، وهو مشدود الى الحدث الفصحي.

* وفي اورشليم أخيراً (من ١٩ / ٢٩ الى ٢٤ / ٥٣)، يظهر يسوع، مروراً بآلامه، في سيادة القائم من الموت.

من المفيد أن ندرس، في هذه الأقسام الأربعة، أشدّ المشاهد كشفاً لسرّ يسوع.

المقدّمة (لو ١ / ١ الى ٤ / ١٣)

ينطوي هذا القسم على مقطعَين مختلفَين الى حد بعيد: روايات الطفولة (١ / ٥ — ٢ / ٥٢) والتمهيد للرسالة (٣ / ١ — ٤ / ١٣).

روايات الطفولة (١ / ٥ — ٢ / ٥٢)

ينفرد لوقا بهذه الروايات، وهي تختلف كل الاختلاف عمّا يوازيها في متى ١ — ٢، وتتّسم بعدّة علامات مميِّزة.

وتكشف صياغتها الأدبية عن توازٍ متواصل بين يوحنا المعمدان ويسوع. فالحلقات تتجاوب اثنتَين اثنتَين، ما عدا مشهد لقائهما (الزيارة) ومشهد ذهاب يسوع في سنّ الاثنتَي عشرة سنة الى الهيكل، وفيه يلفظ يسوع عند أبيه أول كلمة

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

قالها. وهذا التوازي يكشف عن وحدة العمل الإلهي في يوحنا المعمدان وفي يسوع، ويُبرز ما في ملامح يسوع من طابع ابتكاري وجديد على الاطلاق.

ويستوحي هذا المقطع الى حد بعيد من العهد القديم (اليوناني) في لغته ومواضيعه وأقواله النبوية وحتى في صياغة عناصره (ولا سيّما في البشارتَين: ١ / ٥ — ٢٥ و ٢٦ — ٣٨ وفي المزمورين: ١ / ٤٦ — ٥٥ و ٦٨ — ٧٩).

ومن خلال هذه الأساليب الأدبية يظهر الهدف الأساسي المنشود من تلك الروايات، فهي تصف سرّ يسوع، وتصف أيضاً رسالة يوحنا المعمدان عَرَضاً، في سلسلة بلاغات فائقة الطبيعة أدلى بها الملائكة، والملهَمون، ويسوع نفسه أخيراً (٢ / ٤٩)، ولا يتمّ ذلك ولا مرّة واحدة في أقوال بشرية محض. ويعبِّر عن سرّ ابن الله بوضوح وعمق لن يتجاوزهما الانجيل قبل الفصح. فإننا نجد في هذا المقطع، على غرار مقدِّمة يوحنا (١ / ١ — ١٨)، سرّ يسوع في كماله منذ مطلع الإنجيل، كما اننا نكتشف في تابع الرواية كيف قاربه البشر شيئاً فشيئاً.

آ) التبشير بيسوع (١ / ٢٦ — ٣٨)

في هذه الرواية وحي ينقل فيه الملاك كلمة الله الى مريم. ويختصّ البلاغ، قبل كل شيء، بسرّ يسوع، ويختصّ، في درجة ثانية، بدعوة مريم لتكون في خدمة هذا السرّ.

الطفولتان

يوحنا المعمدان		يسوع	
١ / ٥ — ٢٥	تبشير زكريا	١ / ٢٦ — ٣٨	تبشير مريم العذراء
١ / ٥٧ — ٥٨	مولد يوحنا المعمدان	١ / ٣٩ — ٥٦	الزيارة ونشيد مريم
	زيارة الجيران	٢ / ١ — ٢٠	ميلاد يسوع
١ / ٥٩ — ٧٩	الختان		زيارة الرعاة
		٢ / ٢١	الختان
		٢٢ — ٢٨	تقدمة يسوع الى الهيكل
	نبوءة زكريا		نبوءات سمعان وحنَّة
	نشيد سمعان		نشيد زكريا
١ / ٨٠	حياة يوحنا المعمدان المخفيَّة	٢ / ٣٩ — ٤٠	حياة يسوع في الناصرة
		٤١ — ٥٢	يسوع في الهيكل في الثانية عشرة من عمره

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

تبشير مريم العذراء (لو ١ / ٢٦ — ٣٨)

١. عَرْض المشهد

٢٦ في الشهر السادس، أرسل الله الملاك
جبرائيل الى مدينة في الجليل اسمها الناصرة
٢٧ الى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه
يوسف، واسم العذراء مريم.

٢. تحية الملاك

٢٨ فدخل اليها الملاك فقال: «إفرحي أيتها الممتلئة
نعمة الرب معك».

صف ٣ / ١٤ — ١٧
هلِّلي يا بنتَ صهيون، في وسطك ملك اسرائيل الربّ.

اف ١ / ٦
أنعم علينا بنعمته في إبنه

٣. وقع هذا الكلام عند مريم

٢٩ فداخلها لهذا الكلام اضطراب شديد وسألت
نفسها ما معنى هذا الكلام.

٤. بلاغ الملاك

٣٠ فقال لها الملاك: «لا تخافي يا مريم، فلقد
نلتِ حظوةً عند الله.
٣١ فستحملين وتلدين ابناً فسمِّيه «يسوع»
(= «الرب يخلّص»).

لا تخافي يا صهيون، في وسطك الرب إلهك الجبّار الذي يخلِّص.

اش ٧ / ١٤
ها أنّ الصبية تحمل فتلد إبناً وتدعو اسمه عمّانوئيل.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

٣٢ سيكون عظيماً وابنَ العليّ يُدعى ويوليه الرب الاله عرش أبيه داود .

٣٣ ويملك على بيت يعقوب أبد الدهور ولن يكون لملكه نهاية» .

٢ صم ٧ / ١٤ و ١٦
أنا أكون له أباً وهو يكون لي إبناً وعرشك يكون راسخاً للأبد .

اش ٩ / ٥ — ٦
أُعطي لنا ابن... لا انقضاء لمملكته على عرش داود

لو ٢٢ / ٦٩ — ٧٠
ولكن ابن الانسان سيجلس بعد اليوم عن يمين الله القدير... «أفأنت ابن الله إذاً؟
— أنتم تقولون إني هو» .

٥. سؤال

٣٤ فقالت مريم للملاك : «كيف يكون هذا وأنا لا أعرف رجلاً؟» .

٦. تابع البلاغ

٣٥ فأجابها الملاك : «ان الروح القدس سينزل عليك وقدرة العليّ تظلّلك ، ولذلك يكون المولود قدّوساً وابن الله يُدعى .

خر ٤٠ / ٣٥
عد ٩ / ١٨ — ٢٢
ثم غطّى الغمام خيمة الموعد وملأ مجد الـــــربّ المسكن .

لو ٩ / ٣٤
ظـهـر غمام ظـلّـلـهـم... فخافوا... وانطلق صوت من الغمام يقول : « هذا هو ابني الذي اخترتُه... » .

٧. هناك علامة

٣٦ وها إن نسيبتك اليصابات قد حبلت هي أيضاً بابنٍ في شيخوختها ، وهذا هو الشهر السادس لتلك التي كانت تُدعى عاقراً .

٣٧ فما من شيء يُعجز الله»

تك ١٨ / ١٤
قـــــال الله لإبراهيم : « هل من أمر يُعجز الرب ؟» .

لو ٣ / ٢٢
ونزل الروح القدس عليه في صورة جسم كأنه حمامة ، وأتى صوت من السماء يقول : «أنت ابني الحبيب ، عنك رضيت» .

٣٨ فقالت مريم : «أنا أمة الرب ، فليكن لي بحسب قولك»

٨. انصراف الملاك

وانصرف الملاك من عندها .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

والنصّ مبنيّ على مثال عدّة مشاهد وردت في العهد القديم، ولقد تبنّى الكاتب هيكليتها ومواضيعها وعباراتها: من ترائي ملائكة (قض ١٣ و دا ١٠ / ٧ و ١٢ و ١٩)، وتبشير بولد يرسله الله (تك ١٦ و ١٧ و ١٨ وقض ١٣ واش ٧ / ١٤)، ودعوة: «الربّ معك» (خر ٣ / ١٢ ويش ١ / ٥ و ٩ وقض ٦ / ١٢ و ١٧ وار ١ / ١٨ و ١٩ و١٥ / ٢٠)، وأقوال نبوية في المشيح (اش ٧ / ١٤ و ٩ / ٥ — ٦...). هذا وان مقارنة هذه البشارة بما يوازيها في شأن يوحنا المعمدان (١ / ٥ — ٢٥) تُبرز دور يسوع الفريد، وايمان مريم كذلك (راجع ١ / ٤٥).

ويكشف البلاغ الالهي لمريم، على مراحل، سرّ يسوع.

وفي التحية الافتتاحية (الآية ٢٨)، نرى جبرائيل، ملاك البشارة المشيحية (دا ٩ / ٢١ — ٢٧)، يدعو مريم الى الفرح (راجع صف ٣ / ١٤ — ١٧ وزك ٩ / ٩). وفي ذلك وحي ضمني بافتتاح الأزمنة المشيحية (راجع ١ / ١٤).

يصف القسم الأول من البلاغ يسوع (الآيات ٣٠ — ٣٣) بأنه المشيح الذي ينتظره اليهود. والآية ٣١ تستعمل العبارة المألوفة في التبشير بالولادة، ولا سيّما تلك التي وردت في اش ٧ / ١٤، اذ ان الملاك يعد بأن الطفل سيملك على عرش داود أبيه. ويذكّرنا المُلك للأبد على ذلك العرش بقول أشعيا ٩ / ٦. وفي هذا الاطار، يبدو أن لقب «ابن العليّ» لا يتجاوز المعنى الوارد في نبوءة ناتان (٢ صم ٧ / ١٤ ومز ٢ / ٨).

أمّا سؤال مريم (الآية ٣٤)، الذي تفسّره الآية ٤٥ بكونه ايماناً يطلب الاستنارة (خلافاً لما ورد في ١ / ١٨ و ٢٠)، فإنه انفتاح على وحي أعمق. فإن يسوع سيكون «ابن الله» لأنه سيولَد بواسطة تدخّل إلهي فريد: ذلك بأن الروح القدس، ينبوع الحياة، سيحلّ على مريم، وأن قدرة العليّ، التي تُجري المعجزات، ستظلّلها، كما كان الغمام الالهي يدل على حضور الرب في خيمة البرّيّة (خر ٤٠ / ٣٥ وعد ٩ / ١٨ و ٢٢ و ١٠ / ٣٤). والى ذلك العمل الالهي يشير أيضاً وصفُ الطفل بـ «القدُّوس»: فان هذه الصفة تعني، في لغة الكتاب المقدس، أنه سيكون خاصةَ الله بكل كيانه. وبذلك يختلف الحبل البتولي كل الاختلاف عن الاعجوبة الخارقة، ويعني، في نظر مريم، وهي وحدها ستطّلع عليه مباشرةً، ان هناك صلة لا مثيل لها تربط يسوع بالله أبيه. وفي هذا الإطار، يتّخذ لقب «ابن الله» كامل معناه، كما سيتّخذه في أقوال الله (٣ / ٢٢ و ٩ / ٣٥) وإبليس (٤ / ٣ و ٩) والشياطين (٤ / ٤ و ٨ / ٢٨) ويسوع نفسه (١٠ / ٢١ و ٢٢ / ٧٠).

وهكذا فإن سرّ يسوع يُكشف، منذ البشارة الأولى، بكمال لن نجده أبداً، عند لوقا، في أقوال البشر. وعلينا أن ننتظر أحداث الفصح وتبشير بولس لنرى انساناً يشهد بأن يسوع هو «ابن الله» (رسل ٩ / ٢٠ و ١٣ / ١٣ وراجع ٢٠ / ٢٨).

ب) ميلاد يسوع (٢ / ١ — ٢١)

إن رواية ميلاد يسوع وختانه توازيها قصّة يوحنا المعمدان (١ / ٥٧ — ٦٦). لكن هذه

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الفقرة الأخيرة تشدِّد على ختان الطفل، لأن تدخُّل الله يظهر في هذا الختان، في الاتِّفاق غير المنتظر بين اليصابات وزكريَّا على اسم يوحنا. أمَّا يسوع، فالاهتمام كله ينتقل الى ميلاده (الآيات ١ — ٧) كما يفسره بلاغ الملائكة.

تظهر ابتكارية هذا الميلاد في مقارنته بمولد يوحنا المعمدان. وُلد يوحنا في رفاهية بيت زكريّا العجوز. ورحَّب به الجيران والأقارب وكانوا كثيرين (١ / ٥٨). وتحدَّث جميع الناس في الجبل بالآية التي تمَّت يومَ ختانه (١ / ٦٥ — ٦٦). أمَّا يسوع فوُلد في أثناء رحلة فرضها أمر القيصر الوثني. ولم يكن لدى أمِّه من يساعدها، فكان عليها هي أن تقمِّطه، ولم يكن هناك من مهد تضعه فيه فوضعته في مِذود حيوانات. ولم يأتِ لرؤية الطفل إلاَّ بعض الرعاة، اي أناس من الهامشيين.

ما أشدَّ التباين بين هذا البؤس ونشيد الظفر الذي أنشده الملائكة! كان الجيش السماوي بأجمعه حاضراً في مجد الرب (الآية ٩)، يتغنَّى بمجد الله وبالسلام الذي يهبه للبشر، بذلك المجد وذلك السلام اللذين تجلَّيا في الطفل البائس، وقد كان فقره علامة (الآية ١٢ — ١٤).

مجيئه هو بشرى الفرح المشيحي للشعب كلّه (الآية ١٠). وعليه هو أُطلق لقبان إلهيَّان (الآية ١١): إنه «المخلِّص»، وهذا اسم أطلقه الكتاب المقدَّس اليوناني ٣٥ مرَّة على الله، ولا مرَّة على المشيح، ولم يطلقه متى ومرقس على يسوع، في حين أن العالم الهلّنستي كثيراً ما كان يسمّي به «الآلهة المخلِّصين» والقياصرة المؤلَّهين. وليس لقب «المسيح الربّ» اقلّ ابتكاراً. جعل الكتاب المقدّس اليوناني من لقب «الربّ» ترجمةً لاسم الله (يَهْوَه). ولم يستعمل متى (٢١ / ٣) ومرقس (١١ / ٣) هذا اللفظ إلاَّ مرّة واحدة للدلالة على يسوع، في حين أن لوقا استعمله ١٩ مرّة في انجيله وأكثر من ٤٠ مرّة في سفر أعمال الرسل (بعد الفصح، حيث تجلَّت سيادته). وأخيراً، فإذا صحّ ان الملاك أشار الى ميلاد الطفل «في مدينة داود»، فلا شك أنه قصد بذلك إتمام نبوءة ميخا (٥ / ١) الذي رأى في بيت لحم مسقط رأس المشيح.

وهنا أيضاً يأتي الاعلان عن هوية يسوع على لسان أحد الملائكة المتكلّم باسم الله. فيكون بلاغة تمهيداً لجميع روايات الطفولة، حيث يظهر يسوع مخلِّص البشر وربَّهم.

ج) تقدمة يسوع في الهيكل (٢ / ٢٢ — ٣٩)

في الروايتَين السابقتين، تمَّ التعبير عن تجلّي يسوع على لسان الملائكة، أمَّا هنا فيتمّ على لسان أنبياء ملهَمين، كما ورد في ١ / ٤١ — ٤٥، حيث تحيِّي أليصابات «الربّ»، ولا سيّما في ١ / ٦٩ — ٧٩ الذي يشكِّل موازاةً لتقدمة يسوع في قصة يوحنا المعمدان.

وهذا التوازي هو أقلّ دقَّة ممَّا كان في المشاهد السابقة، لأن فقرة ١ / ٦٧ — ٦٩ تتألَّف من مزمور استُهلَّ بمقدِّمة قصيرة (الآية ٦٧)، فإن

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

لوقا مرتبط هنا بمصادره. ومع ذلك، فإن الفقرتين تتقابلان فعلاً، اذ إن نبيًّا ملهَماً يُنبئ، في كلتا الحالتين، برسالة الطفل، في ١ / ٦٧ — ٧٧ وفي ٢ / ٣٠ — ٣٢ و ٣٤ و٣٨. والقصّتان تتناقضان تناقضاً واضحاً: فإن يوحنا المعمدان بُشِّر به في الهيكل، في اثناء رتبة طقسية، ولم يعد قط الى هذا الهيكل، في حين أن يسوع بُشِّر به في الناصرة الوضيعة، فظهر هنا في الهيكل حيث استقبله الأنبياء (لا الكهنة) وحيث سيعود (٢ / ٤٦ و ١٩ / ٤٥ — ٢١ / ٣٨).

وهنا أيضاً تصوِّر لنا الروايةُ الطفلَ ضعيفاً غير واعٍ، مستسلماً لتصرُّف والديه. فهما يأتيان به ويقدِّمانه لأبيه (٢ / ٢٢ و ٢٧) ويُخضعانه لأحكام الشريعة (٢ / ٢٣ — ٢٤ و ٢٧ و ٣٩) ويتقبَّلان من اجله الأقوال النبوية المختصَّة به (٢ / ٣٣ — ٣٥).

ومع ذلك، فإن هذا الطفل هو الذي اعترف به سمعان «مسيحَ الربّ» (الآيتان ٢٦ و ٢٩) وأشاد به، وفقاً لما ورد في أشعيا الثاني «خلاصَ الله» (الآية ٣٠ = اش ٤٠ / ٥ وراجع لو ٣ / ٦ ورسل ٢٨ / ٢٨) و «نوراً يتجلّى للأمم» (الآية ٣٢ آ = اش ٤٢ / ٦ و ٤٩ / ٦ وراجع ٢٦ / ٢٣) و «مجدَ اسرائيل» (الآية ٣٢ ب = اش ٤٦ / ١٣ و ٤٥ / ٢٥...). في كل ذلك اول إنباء بشمولية رسالة يسوع.

ولمريم التي ستشاهد وحدَها تحقيق النبوءة، حفظ سمعان الإنباء بموقف اسرائيل امام يسوع (الآية ٣٤ = اش ٨ / ١٤ — ١٥ و ٢٨ / ١٦ وراجع لو ٢٠ / ١٧ — ١٨). فإن يسوع سيكون آيةً معرَّضة للرفض (اش ٦٥ / ٢). وهذا يعني أن الخلاص، وإن كان يسوع مخلِّصاً لجميع الناس، لا بدّ أن يكون الإنسان حرًّا في قبوله أو رفضه. فإن يسوع لا يأتي بخلاص جاهز، بل يدعو الى خلاص عن طريق الإيمان.

أمَّا نبوءة حنَّة الموازية، فهي تربط الطفل بـ «افتداء» اورشليم (الآية ٣٨). وهذا الاسم هو من اسماء الخلاص الكتابية (راجع ١ / ٦٨)، وهو يناسب بوجه خاص هذا المشهد، حيث خضع والدا يسوع مكانَه لشريعة «افتداء» الأبكار (خر ١٣ / ١٣ — ١٥ و ٣٤ / ٢٠ وعد ١٨ / ١٥ — ١٦). ويبدو أن لوقا لم يلمح هذا التقارب، اذ أنه لا يذكر «الافتداء» في الآيات ٢٢ — ٢٤، وإن كان من الراجح أن مصادره قصدته.

ان الأقوال النبوية التي في هذه الحلقة تأتينا بملامح جديدة تصف لنا وجه يسوع. فهي تعبِّر عن الدور الذي سيقوم به نحو اسرائيل والوثنيين، وتشدِّد على انقسام شعب الله أمامه، وتُشعر بأن الانسان يستطيع أن يرفضه. وهذا يعني أن رسالته قد تلقى الاخفاق.

٢. التمهيد للرسالة (٣ / ١ — ٤ / ١٣)

في مطلع الفصل الثالث، ينضمّ انجيل لوقا الى روايات متى ومرقس، فيلتحق، ولا شك، بالمضمون المشترك الصادر عن التقليد الانجيلي القديم. ويُجمع الازائيون الثلاثة على أن يجعلوا كرازة يوحنا المعمدان وحلقتَي اعتماد يسوع

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وتجربته، قبل أن يباشر يسوع رسالته. وهذه العناصر تُضفي معنى على كل الرسالة الآتية وتكون تمهيداً لها. وفي هذا المقطع، كما في المقاطع التالية، كثيراً ما تمكّننا مقارنة رواية لوقا بروايتَي متى ومرقس من اكتشاف ابتكارية الانجيل الثالث والعلامات الخاصة التي يمتاز بها فكر صاحبه.

يفتتح الازائيون الثلاثة هذا المقطع معرِّفين بيوحنا المعمدان وكرازته الداعية الى التوبة (راجع أيضاً يو ١ / ١٩ — ٣٦). سبق للوقا أن أفسح المجال ليوحنا في روايات الطفولة. أمَّا هنا فإنه يروي من المعلومات ما يرويه مرقس، وخاصةً متى، لكنه يضيف اليها معلومات أخرى (الآيات ٥ — ٦ و ١٠ — ١٥ و ١٨). ويُفيد بحثنا أن نشير الى اهتمامه بأن يرى القارئ، في يوحنا، ذلك السابق الذي أنبأ بخلاص الله لجميع البشر (٣ / ٦)، وبأن يفهم القارئ أن يوحنا ليس هو المسيح (٣ / ١٥)، وإن كانت كرازته تلك البشرى التي سيأتي بها المسيح (٣ / ١٨).

آ) اعتماد يسوع (٣ / ٢١ — ٢٢)

لهذه الحلقة وجهان مختلفان جداً نجدهما عند الازائيين الثلاثة: ان اعتماد يسوع عن يد يوحنا المعمدان هو حدث علني يستطيع مَن شاهده ان يتحقَّق منه. ولكن، في هذه المناسبة، تمَّ تجلٍّ الهي لم يشعر به إلاَّ يسوع وحده (الأمر واضح عند مرقس خاصةً): رأى الروح في صورة حمامة وسمع أقوال الآب.

في رواية لوقا سلسلة ميزات مبتكرة ومعبِّرة. لا يسمِّي يوحنا المعمدان، علماً بأنه روى قصته منذ لحظةٍ، حتى إلقائه في السجن عن يد هيرودس (٣ / ١٩ — ٢٠). نرى في هذا النص مثلاً بارزاً لما يسمُّونه «تَزْمين» التاريخ عند لوقا. معناه واضح: ففي اعتماد يسوع، انتهى زمن يوحنا. ويُفيد لوقا بأن معمودية يوحنا مُنحت «للشعب كلّه». وهو أوضح اشارةً من مرقس ومتى الى الفرق بين اعتماد يسوع والتجلّي الإلهي الذي تبعه. ويذكر أن يسوع كان يصلّي، بحسب عادته قبل جميع الاحداث الحاسمة المختصَّة برسالته. ويوضِّح قليلاً أن يسوع، إذا كان يستطيع أن يرى الروح، «ففي صورة جسم». والجدير بالذكر أن كلام الآب، بحسب النص الراجح، هو عبارة تنصيب الملِك التي وردت في مز ٢ / ٧: «أنت ابني، وأنا اليومَ ولدتكَ».

من هذه الملاحظات نرى كيف يفهم لوقا الحدث. ذلك بأن يسوع، باعتماده عن يد يوحنا، يُنجز التحرُّك التمهيدي الى التوبة، الذي شمل شعب الله كلّه. وهو ينال الروح كسائر الأنبياء، لينقل كلمة الله (راجع ٤ / ١٨). لكن يسوع هو أكثر من نبي، لأن رسالته هي البشرى النهائية، وهو نفسه موضوعها. فإن الآب يعترف به ابناً له. ولقد ذكر لوقا قبل ذلك أن يسوع كان ابناً منذ اللحظة الأولى من حياته (١ / ٣٥)، وأنه أدرك هذا الأمر لمَّا بلغ سنّ الرشد (٢ / ٤٩). أمَّا هنا فإن لوقا يريد الاشارة الى تنصيبه مَلِكاً للقيام برسالته. لكن يسوع لن يمارس في الواقع كامل سيادته المَلَكية إلاَّ مروراً بموته، في المجد الفصحي (١٩ / ١٢ و ١٥ و ٢٢ / ٦٩ و ٢٤ / ٢٦ ورسل ٢ / ٣٦ و ١٣ / ٣٣). ومع ذلك، فإنه، في

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

اللحظة التي باشر فيها القيام برسالته، تلقّى سلطاناً لم يمارسه حتى الآن. ويجوز لنا أن نقول إنه، إذا كان، منذ الحبل به، وارثَ الآب الشرعي بصفته ابناً له، فهو يصبح وكيله المفوَّض، بتقليده في المعمودية، بانتظار تنصيبه في الفصح.

إن هذا التجلّي الالهي ليسوع عند اعتماده يماثل الى حدّ ما ما نعرفه عن ظروف دعوة الأنبياء. فإن الله يحدّد كذلك فيها رسالة مرسَله ويُفيض عليه روحه. لكن شخص يسوع ورسالته هما فريدان، لأن يسوع هو الابن. وفضلاً عن ذلك، فإن يسوع لا يجيب ولا يعترض.

ب) نسب يسوع (٣ / ٢٣ — ٣٨)

جرى متى على العادة المألوفة في الكتاب المقدَّس فوضع نسباً في مطلع كتابه (متى ١ / ١ — ١٧). أمَّا لوقا، فلقد وضعه في هذا المكان، ولهذا الفرق معنى سوف نعود الى الكلام عليه. ينزل نسب متى من ابراهيم الى يسوع، مروراً بداود وسائر ملوك يهوذا، في حين أن نسب لوقا يصعد من يوسف الى ابراهيم وحتى الى آدم، ولا يذكر من الملوك سوى داود (مع أنه يتّفق مع نسب متى في ذكر اسمَي شألتئيل وزَرُبَّابل). ويتألّف نسب متى من ثلاث سلاسل يحتوي كل منها على سُباعيتَين (٣ × ٢ × ٧ = ٤٢)، في حين أن نسب لوقا يتألّف من احدى عشرة سُباعية (١١ × ٧ = ٧٧)، وهذا ما يدل على أن لكليهما اصلاً ساميًّا.

في عالم الكتاب المقدس، لا تهدف الأنساب أوّلاً الى وضع لائحة صحيحة وتامّة للأجداد، بل تهدف، قبل كل شيء، الى بناء حق في امتلاك أرض أو في الوضع الكهنوتي (راجع عز ٢ / ٦١ — ٦٣) أو في المشروعية السلالية. وكثيراً ما يكون تحرير تلك الانساب اصطناعياً، ولنا في ١ اخ ١ — ٩ مثل على ذلك. وفيما يختصّ بيسوع، فمن الواضح أن اليهود لم يرَوا فيه ابناً لداود نظراً لنسبه، بل بحثوا عن الانساب لأنهم رأوا فيه ابناً لداود (وهذا الرأي تؤيِّده العبارات القديمة الواردة في روم ١ / ٣ — ٤ ورسل ٢ / ٢٩ — ٣٢ و ١٣ / ٢٢ — ٢٣ وراجع مر ١٠ / ٤٧ — ٤٨ و ١١ / ١٠ وما يوازيها).

فلا شك أن لوقا يستعمل هنا وثيقة يهودية. ومن الراجح أنه أضاف هو نفسه إليها لوائح الاسماء من تارَح الى آدم (الآيات ٣٤ — ٣٨)، فإن هذه الفقرة هي الوحيدة التي اتَّبع فيها نص الكتاب المقدس اليوناني (تك ٥ / ١ — ٣٢ و١١ / ١٠ — ٢٥). وهذه الاضافة لا تخلو من الفائدة، فإن لائحة متى تضع يسوع في داخل الشعب الاسرائيلي فقط، في حين أن لائحة لوقا تشير الى ارتباطه بالبشرية كلها. ومن المحتمل أن يعود إغفال الملوك بين شألتئيل وداود (الآيات ٢٧ — ٣١) الى المصدر الذي أخذ لوقا عنه، لكنه يوافق ما نعرفه من تحفُّظ لوقا امام أملاك هذه الدنيا (راجع ٤ / ٥ — ٦ و ٢٢ / ٢٥). وقد يجب علينا أن نقارب بين هذا الأمر ووجود عدَّة اسماء أنبياء: عالي (الآية ٢٣) وعاموس ونحوم (الآية ٢٥) وناتان (الآية ٣١). أَوَلا تضع اللائحة يسوع بالأحرى في سلالة الأنبياء، لا في سلالة

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

عظماء هذا العالَم؟ مهما يكن من أمر، نرى أن الخاتمة، وهي تربط آدم بالله (الآية ٣٨، بعد الاعتراف بأن يسوع هو ابن الله (٣ / ٢٢)، تضع يسوع تجاه الانسان الأول، وكأنه آدم الثاني (وهذا موضوع نجده عند القديس بولس، ويبدو أن لوقا وضعه على لسان بولس في رسل ١٧ / ٢٦ و ٣١).

يحملنا وجود نسب يسوع في هذا المكان من انجيل لوقا على الاعتقاد بأن لوقا يحدِّد هنا موقف يسوع من البشر، بعد أن حدَّدت كلمة الله، عند اعتماده، صلته بالله. فإن يسوع هو متضامن مع البشرية كلها، لأنه النموذج الأوَّلي لبشرية جديدة (راجع رسل ٣ / ١٥ و ٥ / ٣١ و ٢٦ / ٢٣).

ج) تجربة يسوع (٤ / ١ — ١٣)

يضع الانجيليون الازائيون الثلاثة تجربة يسوع، بين اعتماده وبداية رسالته، ويُظهرون فيها انتصارَ المعلِّم، منذ البدء، على قوى الشرّ، والاساس الذي سيقوم عليه طرده الشياطين وإجراؤه المعجزات.

إن الحدث الذي يدور الكلام عليه هو روحيّ محض وفائق الطبيعة. فلا يمكن الاجتهاد في أن نحلِّله تحليلاً لفظياً، اذ ان طبيعته تفترض أن يكون في الرواية صياغةٌ أدبية تزيينيَّة. ومن الواضح أن متى ولوقا يأخذان هنا عن مصدر مشترك يتّسم بطابع أدبي الى حد بعيد ويستند الى الكتب المقدسة (ولاسيّما الى التجارب التي وقع فيها اسرائيل في البرية: تث ٨ / ٣ و ٦ / ١٦ و ١٣). ولا يُستبعَد أن يرقى هذا المصدر الى يسوع.

إن رواية لوقا تشابه رواية متى (٤ / ١ — ١١)، لكن بينهما وجوه اختلاف تُذكر، لاسيّما التغيير في ترتيب التجربة الثانية والثالثة وتحرير الآيات ٦ — ٧ و ١٣. فقد نستطيع أن ننسبها الى انشاء لوقا وتفكيره.

تستند التجربة الأولى (الآيتان ٣ — ٤)، على غرار ما ورد في متى ٤ / ٣ — ٤، الى بنوَّة يسوع الالهية، وهي التي أعلنها الآب عند اعتماد يسوع (٣ / ٢٢): فيقترح ابليس على يسوع أن يستغلّ تلك البنوَّة ويستخدم قدرته العجائبية للتخلّص من جوع الناس وبؤسهم. وهذا ما رفضه يسوع، لأنه لا يريد أن يجري معجزة لمنفعته (راجع المشاهد اللاحقة في ٢٣ / ٨ — ١١ و ٢٣ / ٣٥ — ٣٩).

والتجربة الثانية عند لوقا (الثالثة عند متى) هي عَرض الحصول دون مشقَّة على مُلك هذا العالم، بمجرد السجود لإبليس (الآيات ٥ — ٨). مِثل هذه التجربة يفترض سلفاً أن يسوع لم يحصل الى ذلك الحين على سيادته المَلكية، وهذا ما يوافق فكرة لوقا (١٩ / ١٢ — ١٥ و ٢٢ / ٦٩ و ٢٣ / ٤٢ و ٢٤ / ٢٦ ورسل ٢ / ٣٦). ويعني ذلك أيضاً أن مُلك هذا العالم يتوقَّف على ابليس (راجع لو ٢٢ / ٢٥ ورسل ٤ / ٢٦ — ٢٧ و٢٦ / ١٨). ويعني رفض يسوع أنه لا يريد أن يكون مديناً لأحدٍ بمُلكه إلاَّ لأبيه، وفقاً للطريق الذي اختاره، اي طريق الفقر والاخفاق والصليب.

واذا ختم لوقا التجارب بالتجربة في اورشليم (الآيات ٩ — ١٢)، خلافاً لمتى (٤ / ٥ — ٧)

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الذي حافظ على الترتيب الاصلي، فقد يعود ذلك الى الأهمية التي يوليها لـ «المدينة المقدّسة»، ولكي يشير، بوجه خاص، الى ما يبدو له تجربة يسوع الكبرى، اي تجربة النجاة من الموت لأنه ابن الله. لكن يسوع ابعدها عنه، فإنها تعني «تجربة» الله، ومطالبته بتدخّل لا يكون مطابقاً لتدبيره الالهي. رفض يسوع ان يجعل من لقبه كابن «تأميناً ضِدّ جميع الاخطار»، احتراماً لحرية أبيه العليا.

وهكذا أُبعِد ابليس (الآية ١٣)، بعد أن أنفد «جميع تجاربه». لقد هُزم، لكنه سيعود عند الآلام (راجع ٢٢ / ٣ و ٥٣).

عند الإزائيين الثلاثة، تشير رواية التجربة في آن واحد الى طبيعة يسوع البشرية (جُرِّب مثلنا) والى انتصاره على الشرّ (لم يقع مثلنا). عند متى ولوقا، تتناول التجربة الشكل العملي الذي تتّسم به رسالة يسوع، والامتيازات التي قد يحصل عليها من وضعه كابن الله: رفض يسوع أن يستغلّ هذا الوضع للنجاة من الجوع والموت والوضع البشري، والوصول دون مشقّة الى مُلكه (الفكرة هي هي في صيغة أخرى في فل ٢ / ٦ — ٨). لكن لوقا أدخل بعض الفوارق، منها أنه يعدّ أملاك هذا العالم شيطانية (راجع سكوته في نسب يسوع عن ملوك يهوذا)، والنجاةَ من الموت تجربةَ يسوع الكبرى، والآلامَ امتداداً للتجربة وهجومَ إبليس الأخير على يسوع (راجع ١ قور ٢ / ٨).

وهنا تنتهي مقدّمة الإنجيل. أظهر انجيل الطفولة سرَّ يسوع كما أوضحته بلاغات الملائكة والأنبياء. وأظهرت مشاهد التمهيد للرسالة، في شعور يسوع نفسه، دعوته من قِبَل الآب وانتصاره الجذري على الشرّ.

أمّا الآن، فسيباشر يسوع مهمّته، وسيبيِّن الانجيل من الخارج كيف أنه تجلّى في كلامه وعمله، وكيف أن الناس اقتربوا شيئاً فشيئاً الى فهم سرّه.

اوائل الرسالة (لو ٤ / ١٣ الى ٩ / ٥٠)

جرى القسم الاول من رسالة يسوع، في جوهره، في الجليل. وهذا ما تدل عليه بعض اسماء المكان التي وردت في مختلف الحلقات (٤ / ١٦ و ٣١ و ٥ / ١ و ٧ / ١ و ١١) والعبارة التي يستعملها لوقا في الكلام على «بدء يسوع في الجليل» (لو ٢٣ / ٥ ورسل ١٠ / ٣٧).

يتجلّى يسوع هنا بتبشيره ولاسيّما بمعجزاته، فمن اصل ١٨ رواية معجزة وردت في الانجيل الثالث، نجد ١٤ منها في هذا القسم.

يُستهَلّ هذا القسم بمشهد افتتاحي كبير (٤ / ١٦ — ٣٠) يمتاز به بلاغ يسوع وطريقة تقبُّله. وهو صورة سابقة لما سيكون سير الرسالة، على غرار الدور الذي تقوم به، الى حد ما، رواية العنصرة في سفر اعمال الرسل.

يمكن تقسيم الرواية الى ثلاثة مقاطع (٤ / ٣١ — ٦ / ١١ و ٦ / ١٢ — ٧ / ٥٠ و ٨ / ١ — ٩ و ٥٠). بحسب طريقة لوقا في استعمال معلومات مرقس في المقطع الأول والثالث، وبحسب الدور الذي ينسبه الى الاثني عشر الذين

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

اختارهم يسوع في ٦ / ١٢ — ١٦ وأشركهم في رسالته في ٨ / ١.

ولم يبدأ التلاميذ يشعرون بسرّ يسوع إلاَّ في نهاية هذا القسم، وكان ذلك في شهادة بطرس (٩ / ١٨ — ٢٢) وفي التجلّي (٩ / ٢٨ — ٣٦). لكن هناك عدَّة مشاهد سابقة تُشعرنا بذلك السرّ ولا بدّ من البحث فيها.

آ) يسوع يباشر رسالته (٤ / ١٦ — ٣٠)

ان مرقس (١ / ١٣ — ١٥) ومتى (٤ / ١٧) يلخِّصان تبشير يسوع في رسم بياني وجيز، في حين أن لوقا يأتي بمثل مفصَّل عنها في الحلقة التي جرت في مجمع الناصرة.

تلتقي روايته في الآيات ١٦ / ٢٢ ب و ٢٤ رواية مرقس في ٦ / ١ — ٦ ومتى في ١٣ / ٥٤ — ٥٨. وقد يكون للاستشهاد بـ اش ٦١ / ١ — ٢ (الآيتان ١٨ — ١٩) ولـ متى ١١ / ٥ ولو ٧ / ٢٢ مصدر واحد. وقد تكون الآيات ٢٣ و ٢٥ — ٢٧ من تقليد آخر. مهما يكن من أمر، فإن الطلب الوارد في الآية ٢٣ ب سابق لأوانه، لأنه يفترض وقوع الاحداث التي سيرويها لوقا ابتداءً من ٤ / ٣١... فمن الراجح أن لوقا صاغ المشهد كله انطلاقاً من معلومات تقليدية، ليفتتح روايته بعرض رسالة يسوع والاستقبال الذي لقيه.

يفيد هذا المشهد دراستنا لأنه كثير المعاني. أخذ يسوع يبشِّر يومَ سبت في مجمع (في ٤ / ١٥ تمهيد لهذا الأمر)، كما صنع بولس فيما بعد (رسل ١٣ / ١٤ — ٤١ و ٤٢ — ٤٨ و ١٧ / ٢ — ٤ و ١٨/ ٤). وفي ذلك دليل على أن الانجيل يستند الى مواعد العهد القديم. وحدَّد يسوع رسالته انطلاقاً من قول اش ٦١ / ١ — ٢ الذي اتمَّه «اليوم» (الآيات ١٨ — ١٩ و ٢١). ونال الروح، على مثال النبي، لإعلان البشرى للمساكين (راجع ٧ / ٢٢) وتوفير الحرية والنور للبؤساء. لكنه ليس نبيًّا كسائر الأنبياء، فلقد نال مِسحة الروح كاملةً (٣ / ٢٢ و ٤ / ١ و ١٤). وبه يُفتَّح زمن النعمة (الآيتان ١٩ و ٢٢). هذا العرض لرسالة يسوع كثير الفائدة. فإن متى ٤ / ١٧ يلخِّص الرسالة في الدعوة الى التحوُّل الباطني، لأن ملكوت الله اقترب. ومرقس ١ / ١٤ — ١٥ لا يقول غير ذلك ويضيف أن يسوع أعلن بشرى الله وتمام الزمن. ولوقا يتكلّم، كما تكلّم مرقس، على البُشرى (الآية ١٨) وعلى إتمام الكتب المقدسة (الآية ٢١)، لكن قلب الرسالة لم يعد الملكوت، بل صار شخص يسوع.

أمام هذا التبشير، كان ردّ فعل اهل الناصرة سلبياً. تعثَّروا بشخص يسوع وكانوا يظنُّون أنهم يعرفونه (الآية ٢٢). وطلبوا معجزات، كما لو كانت تحقّ لهم بصفتهم مواطنين ليسوع (الآية ٢٣). لكن يسوع شكّ في هذا الحق، مستنداً الى مثال ايليا واليشاع، وهو مثال يُشعِر منذ الآن بخلاص الوثنيين (الآيات ٢٥ — ٢٧). واعترف بأن وطنه لم يرحّب به (الآية ٢٤). فحاولوا أن يقتلوه (الآيتان ٢٨ — ٢٩). المشهد كله صورة سابقة لمسعى يسوع لدى شعبه، لكن شعبه سيقتله.

بذلك جعل يسوع نفسه في عداد الأنبياء (الآية ٢٤). فعلى مثالهم، حلَّ عليه روح الرب،

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

فنقل رسالة الخلاص. لكنه اكثر بكثير من نبي، لأنه هو نفسه موضوع تلك الرسالة. وفي نظره، الرسالة أهمّ من للمعجزات، وأمّا في نظر سامعيه، فالعكس. ومن هنا نرى كيف أن رفض اسرائيل سيقوده الى الموت.

ب) إحياء ميت في نائين (٧ / ١١ — ١٧)

كل معجزة هي كشف عن سرّ يسوع وعلامة لقدرته على الخلاص. فهي تأتي بخلاص فردي وطبيعي وزمني ينبئ، في حدث من الاحداث، بالخلاص الشامل والكامل والنهائي. وهناك بعض روايات معجزات تُسهم بوجه خاص في الكشف عن يسوع: لو ٥ / ١٧ — ٢٦ أو رواية إحياء مَيت في نائين.

ينفرد لوقا بهذه الرواية، وهو يجعلها هنا تمهيداً لكلمة يسوع: «الموتى يقومون» (٧ / ٢٢: لن يروي لوقا إحياء ابنة يائيرس إلاّ في ٨ / ٤٠ — ٤٢ و ٤٩ — ٥٦).

في هذه الرواية جميع عناصر الرسم البياني التقليدي التي تتألّف منها روايات المعجزات: حقيقة الشرّ (فالشاب تُوفّي ولا شك، والجمهور يذهب به الى القبر)، ثم تدخُّل المخلِّص بكلمة بسيطة، ثم ظهور الشفاء (جلس الشابّ وأخذ يتكلّم)، وأخيراً ردّ فعل الجمهور وهو ردّ فعل ديني (الخوف وتمجيد الله). تُظهر هذه الأمور، كما في سائر روايات المعجزات، قدرة يسوع الشخصية (لا يصلّي) وحقيقة الخلاص الذي أجراه والاعتراف بالتدخل الالهي في عمله.

في هذه الرواية علامات ينفرد بها لوقا: لقب «الربّ»، وهو يُطلَق على يسوع للمرّة الأولى في روايات خدمته الرسولية (الآية ١٣)، والتشديد في الخاتمة على عمل الله، لا بل الصلة الأدبية التي تربط هذه الرواية برواية إحياء ابن أرملة صرفت عن يد ايليا (١ مل ١٧ / ١٠ و ١٧ — ٢٤ في النص اليوناني)، وخاصةً في الآيتين ١١ — ١٢ من نص لوقا. وهذه الصلة تلفت النظر بقدر ما نعود فنجدها في معجزتين غيرهما وردتا في انجيل لوقا (ابن «وحيد» في ٨ / ٤٢ و ٩ / ٣٨، و«رُدَّت» روح الميت إليها في ٨ / ٥٥ = ايليا في الآية ٢١، و «رُدَّ» الصبيُّ الى أبيه في ٩ / ٤٢). وفي نهاية رواية نائين، اعترف الجميع بأن يسوع هو «نبيّ عظيم» (٧ / ١٦). لا ترد هذه العبارة في رواية ايليا كما هي هنا، لكن معنى خاتمتها هو هو: «الآن علمتُ أنّك رجل الله وأنّ كلام الربِّ في فمك حقّ» (ايليا: الآية ٢٤). لا يخفى علينا، من جهة أخرى، أن لوقا أشار عدّة مرّات الى وجوه الشبه بين يسوع وايليا.

تعبِّر هذه العلامات المختلفة عن فكرة لوقا. فإذا أُطلق هنا على يسوع لقب «الربّ» للمرّة الأولى، فللتشديد على القدرة الخارقة التي أظهرها هنا. يشير الاعتراف في الخاتمة بـ «افتقاد» الله (راجع لو ١ / ٦٨ و ٧٨ و ١٩ / ٤٤ ورسل ١٥ / ١٤) الى عمل الله في يسوع. ويدل التلميح الى ايليا على أن لوقا يرى في يسوع نبيًّا مقتدراً في العمل والقول. لا بل يرى في ايليا «مثال» يسوع وصورة سابقة له. فإن صفة يسوع النبويَّة هي فريدة. ذلك بأن المخلِّص وحده يبلغ بالقول والعمل الخلاصي الى كمالها النهائي.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وفي الآية ٧ / ٢٢، سيذكر يسوع إحياء الاموات في لائحة معجزات توافق نبوءات الأنبياء (اش ٢٩ / ١٨ — ١٩ و ٣٥ / ٥ — ٦) وسيبيِّن إذاً أنَّ في تلك المعجزات علامات الخلاص الحاضر. والعلامة الأخيرة في اللائحة هي أن الفقراء يسمعون البشرى، كما تنبَّأ أشعيا (اش ٦١). سبق للوقا أن استشهد بهذا الأمر على أنَّه مهمَّة يسوع الأولى (٤ / ١٨). من الواضح أنه يرى فيه العلامة الأولى التي تدل على زمن الخلاص، وهي أكثر أهمية وأشدّ دلالةً من إحياء الأموات.

ج) شهادة بطرس (٩ / ١٨ — ٢٢)

في انجيل مرقس، تبدو شهادة بطرس نقطة التحوُّل في رسالة يسوع، يتمّ فيها الانتقال من القسم الأول من الانجيل الى القسم الثاني. أمَّا في انجيل لوقا وتصميمه المتشعِّب، فإنها تظهر في أواخر القسم الاول من الرسالة بمظهر خاتمة جزئية ومقارَبة لسرّ يسوع عن يد التلاميذ.

لا يرد في انجيل لوقا ما يوازي مر ٦ / ٤٥ — ٨ / ٢٦ ولا ما يوازي متى ١٤ / ٢٢ — ١٦ / ١٣. فهو يذكر هذه الحلقة فوراً بعد معجزة تكثير الارغفة الوحيد، وهذا ما يشكّل توافقاً غريباً مع انجيل يوحنا، فإن المشهد المقابل في هذا الانجيل (يو ٦ / ٦٧ — ٧١) يختم فصل معجزة تكثير الارغفة.

إن رواية لوقا شديدة الشبه هنا بروايتَي مرقس ومتى، ما عدا بعض امور ينفرد بها لوقا. تُستهلّ هذه الرواية بصلاة ينعزل فيها يسوع عن الجموع، على غرار ما فعل قبل اعتماده وقبل اختيار الاثني عشر (٣ / ٢١ و ٦ / ١٢)، وهذا ما يدل على أهمية الحدث (الآية ١٨). وعلى غرار ما ورد عند مرقس ومتى، سأل يسوع أوَّلاً ماذا تقول «الجموع» فيه («الناس» عند مرقس ومتى، وفي ذلك تمييز بين الغرباء والمؤمنين)، فعدَّد التلاميذ الآراء التي سبق أن نُقلت الى هيرودس في ٩ / ٧ — ٨ الموازي لـ مر ٦ / ١٤ — ١٥ (الآية ١٩). وكذلك عند الازائيين الثلاثة، فرض يسوع عندئذ أن يُبدوا رأيهم الشخصي في سرِّه، فأتى الجواب على لسان بطرس (الآية ٢٠). يختلف كلامه من انجيل الى انجيل: «أنت المسيح» (مرقس)، أمَّا لوقا فاكتفى بقوله: «مسيح الله». ليست هذه العبارة في العهد القديم، فلقد ورد بالأحرى: «مشيح يَهوه» في النص العبري، و «مسيح الرب» في الترجمة اليونانية (وكذلك في لو ٢ / ٢٦ ورسل ٤ / ٢٦). لكن لوقا يستعمل العبارة نفسها أيضاً في ٢٣ / ٣٥ (راجع رسل ٣ / ١٨). وهي أفخم من عبارة مرقس وتدل على صلة فريدة تقوم بين يسوع والله، مع تجنُّب لقب «ابن الله» الذي لا يضعه لوقاً أبداً على لسان الناس قبل الفصح (رسل ٩ / ٢٠ و ١٣ / ٣٣). ومن الراجح أن تلك العبارة هي، في نظره، مقاربة أولى، وإن غير كاملة، لسر يسوع. وفي انجيل لوقا، كما في انجيل مرقس، لا يُثني يسوع على بطرس (بعكس ما ورد في متى ١٦ / ١٧ — ١٩). اجل، لم يرفض يسوع لقب المسيح، لكنه نهى بشدة أن يُخبَر به (الآية ٢١).

وبعد ذلك، يتوقَّف سرد الاحداث عند

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

مرقس (٨ / ٣١) ومتى (١٦ / ٢١)، ويبدأ مقطع جديد ينبئ فيه يسوع بأن عليه أن يتألّم كثيراً ويُقتل ويقوم. أمّا لوقا، فإنه يذكر هذا الإنباء في ألفاظ تشابه ألفاظ مرقس، لكنه يربطه ربطاً وثيقاً بأمره أن يُكتّم سرُّه، فيجعل بذلك من الإنباء دافعاً الى الأمر (الآية ٢٢). وهذا ما يبدو شديد الدلالة. فإن السكوت، في نظر مرقس، يعود الى حفظ السرّ عن مشيحية يسوع، في حين أن لوقا يرى أن هناك سرًّا هو عذاب المشيح. نشعر بذلك في الإنباء الثاني بالآلام، في ٩ / ٤٤ — ٤٥ (حيث لا يدور الكلام على القيامة وحيث بلاغ الصليب «مُغلَق على التلاميذ، لئلاّ يفهموا معناه»: راجع ١٨ / ٣٤) وفي العبارة التي يردِّدها والتي تشير الى «عذاب المسيح» (لو ٢٢ / ١٥ و ٢٤ / ٢٦ و ٤٦ ورسل ١ / ٣ و ٣ / ١٨ و ١٧ / ٣ و ٢٦ / ٢٣).

يختم مرقس (٨ / ٣٢ — ٣٣) ومتى (١٦ / ٢٢ — ٢٣) ذلك الإنباء باحتجاج بطرس والتوبيخ الشديد الذي وجّهه يسوع إليه. أمّا لوقا فإنه لم يذكر هذه الآيات، وكثيراً ما نُسب صمته الى احترامه لبطرس. يبدو بالأحرى أنه أراد هنا أن يتجنّب الإشارة الى أن الرسول أدرك معنى الإنباء بالصليب.

وهكذا في نهاية القسم الاول من الرسالة، حيث تجلّى يسوع بكلامه ومعجزاته، أخذ التلاميذ، بلسان حالهم بطرس (راجع رسل ٢ / ١٤ و ٣٨...)، يتبيّنون سرّ معلّمهم، وتجاوزوا تردُّدهم الأوّل (٨ / ٢٥) وآراء الجموع، ونظروا الى يسوع نظرهم الى المسيح، الى مسيح متّحدٍ بالله اتّحاداً فريداً، فبلغوا ما كشف عنه الملائكة (٢ / ١١) وما أُوحي الى سمعان (٢ / ٢٦ و ٢٩) وما عرفه الشيطان (٤ / ٤١). فأراد يسوع أن يساعدهم على مقاربة سرّه بالإنباء عن آلامه، وأن يُبعد عن عقل معاصريه كل تصوُّر بشريّ للمشيحية. لكن التلاميذ لم يستطيعوا أن يقبلوا ولا أن يفهموا اخفاق المسيح، فكانوا إذاً عاجزين عن النفوذ الى سرّه.

د) مجد ابن الله (التجلّي) (٩ / ٢٨ - ٣٦)

يُجمع الازائيون الثلاثة على ربط هذه الحلقة ربطاً وثيقاً بشهادة بطرس: نادراً ما ربطوا، كما في هذه المرة، حلقتَين بإشارة زمنية، وهي تساعد على اكتشاف تكاملها.

وفي الروايات المتوازية الثلاث، نجد العناصر نفسها، وهي: صعود يسوع الى «الجبل» برفقة اعزّ تلاميذه الثلاثة، وظهوره النيِّر، و«ترائي» موسى وايليا، وكلام بطرس الذي تخطّاه الحدث، والتجلّي الالهي في الغمام (راجع خر ٤٠ / ٣٥)، والكلام (وهو الكلام نفسه الذي سُمع عند اعتماد يسوع) الموجَّه الآن الى التلاميذ، يدعوهم الى سماع ابن الله، وبقاء يسوع وحده، وسكوت التلاميذ فيما بعد. في هذا المشهد الرؤيوي، الحافل بالذكريات الكتابية، عرض لاختبار قام به التلاميذ، وهو ظهور ليسوع واستباق لمجده الفصحي، كما أن كلام الله هو تلبية لشهادة بطرس، يتجاوزها بكشفٍ أعمق عن يسوع.

حافظت رواية لوقا على تلك الهيكلية، لكنها

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

أضافت إليها الكثير من المعلومات الجديدة، حتى ان المفسِّرين اعتقدوا أحياناً أنه يتقيّد بمصدر خاص. إلاَّ أن معظم تلك المعلومات تناسب لغة لوقا وأساليبه الأدبية وتفكيره، فمن الراجح أنها من قلمه وتفسيره. وأيًّا كان مصدرها، فإنه تبنَّاها.

يذكر لوقا، مرَّة أخرى أيضاً، أن يسوع صلَّى أوَّلاً (الآية ٢٩). والكلمات اليونانية التي يستعملها تذكِّر برواية سيناء، التي «مُجِّد» فيها وجه موسى (خر ٣٤ / ٢٩ — ٣٠ في النص اليوناني). لكن لوقا لا يستطيع أن يتكلّم على مجد يسوع دون أن يذكر وضعه كقائم من الموت (لو ٢١ / ٢٧ و ٢٤ / ٢٦ ورسل ٣ / ١٣ و ٢٢ / ١١): فليست الرؤيا الحاضرة في نظره سوى استباق لتجلّي الفصح.

«يتراءى» موسى وإيليا، كما ورد في مرقس ومتى. ويوضح لوقا أنَّهما «تراءيا في المجد»، فهما أيضاً في وضع الكائنات السماوية. وهذا ما يناسب إيليا أكثر ممَّا يناسب موسى، على ما ورد في التقليد الكتابي (٢ مل ٢ / ٢ — ١١)، ولكن لوقا قد يتَّبع، في شأن موسى، بعض التصوُّرات اليهودية. وينفرد لوقا بذكر موضوع حوارهما مع يسوع: «أخذا يتكلَّمان على رحيله الذي سيتمّ في اورشليم». وهذا «الرحيل» هو، في الوقت نفسه، موت يسوع وارتفاعه الى المجد. وقد توحي الكلمة أيضاً بعمل موسى، الذي قاد اسرائيل الى البرية والى أرضه، وتحدِّد رسالة يسوع لدى شعبه.

يميِّز لوقا بين اختبار يسوع (الآيات ٢٩ — ٣١) واختبار التلاميذ، بقوله إن التلاميذ ناموا حتى الآن (الآية ٣٢). ولا يتدخل بطرس، عند لوقا، إلاَّ فورَ انصراف موسى وايليا (الآية ٣٣)، وهو يخاطب يسوع باحترام: ينفرد لوقا باستعمال لقب «المعلِّم»، فيجعله دائماً على لسان تلاميذ (٥ / ٥ و ٨ / ٢٤ و ٤٥ و ٩ / ٣٣ و ٤٩) أو متوسِّلين (١٧ / ١٣). لكن بطرس، عند لوقا، كما عند مرقس، لا يدري ما يقول، فإنه يحلم بتخليد اللحظة.

وعندئذ تـمَّ التجلّي الالهي (الآية ٣٤). يدل على ظهوره الغمامُ والكلام. ولقد ادخل لوقا في الكلام بعض الفوارق الطفيفة. فإن يسوع يُنعت بـ«المختار»، كما سيُنعت به على الصليب (٢٣ / ٣٥). وقد يذكِّر هذا بـ اش ٤٩ / ٧، حيث يخاطب الله عبده المتألِّم الذي احتقرته الشعوب. وقد يكون في هذا تلميح الى اتِّضاع يسوع في آلامه (راجع الآية ٣١). وفي الدعوة الى سماع الابن، قد يذكر لوقا النبيَّ الشبيه بموسى (تث ١٨ / ١٥ — ١٦)، فإنه يطبِّق هذا القول النبوي مرَّتين على يسوع (رسل ٣ / ٢٢ و ٧ / ٣٧).

وفي الخاتمة، يقول الازائيون الثلاثة إن يسوع «بقي وحده». وفي مرقس ٩ / ٩ ومتى ١٧ / ٩، ينهى يسوع التلاميذ عن الإخبار برؤياهم. أمَّا لوقا فيكتفي بالقول إنَّهم لم يُخبروا بها أحداً (الآية ٣٦). فقد يعتقد بأنه ليس هناك ما يُنهى عنه، لأنهم لم يفهموا شيئاً (راجع ٩ / ٤٥ و ١٨ / ٣٤).

في هذا العدد الوافر من المعلومات الجديدة،

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

يظهر تفسير لوقا. إنه يصوِّر يسوع بصورة موسى الجديد (الآيات ٢٩ و ٣١ و ٣٤ و ٤٥)، اي بصورة قائد شعب الله الى الخلاص. وقد يرى فيه أيضاً عبد الله المُذَلّ (الآية ٣٥). يتمتَّع يسوع منذ الآن بالمجد الذي ستُظهره القيامة (الآية ٣٢)، لكنه لن يبلغه كاملاً إلاَّ بموته (الآية ٣١). ويبدو أن التلاميذ لم يفهموا هذا السرّ (الآية ٣٦)، وهم لن يدركوه إلاَّ في نور القيامة (٢٤ / ٧ و ٣٦ و ٤٥ — ٤٦).

رأينا اذاً في القسم الاول من الرسالة كيف عُرض على اسرائيل سرّ يسوع الذي اعلنته نبوءات الطفولة وأظهره التمهيد للرسالة في حياة يسوع نفسه. وفي ختام هذا القسم، أخذ بعض التلاميذ فقط ينفتحون لذاك السرّ. ولكن لا يزال امامهم طريق طويل عليهم ان يسلكوه للتعمُّق فيه.

الصعود الى اورشليم (لو ٩ / ٥١ الى ١٩ / ٢٨)

إن رحلة يسوع الى اورشليم هي أشدّ الاقسام ابتكاراً في مؤلَّف لوقا. لا يخصِّص مرقس لهذه الرحلة إلاَّ فصلاً واحداً (مر ١٠) ولا يخصِّص لها متى إلاَّ فصلين (متى ١٩ — ٢٠)، في حين أن لوقا يوزِّعها على عشرة فصول (٩ / ٥١ — ١٩ / ٢٨)، وفي الفصل قبل الاخير فقط، يستعيد سير الاحداث الموازية لانجيلَي متى ومرقس (١٨ / ١٥ — ٤٣).

وهناك بعض النُبذ القصيرة التي تضفي على هذه الوحدة صيغة المسار (٩ / ٥١ — ٥٦ و ١٣ / ٢٢ و ١٧ / ١١ و ١٩ / ٢٨). لكن هذا التركيب اصطناعي محض، فإنه يُستعمل إطاراً لكمية كبيرة من التعاليم والارشادات، وفي بعض الاحيان من المناظرات، ولا يتضمَّن إلاَّ القليل من الاحداث.

ولا يخلو هذا القسم من المعلومات عن سرّ يسوع. سنبحث في اربعة منها.

يوجِّه لوقا هذا الرحيل نحو اورشليم توجيهاً مفخَّماً (٩ / ٥١)، فيضفي عليه بذلك معنى عاماً، وهو ان يسوع يسير الى «الرحيل» الذي سيقوم به في اورشليم (راجع ٩ / ٣١)، اي الى موته ومجده. وبذلك تتَّخذ التعاليم التي يلقيها على التلاميذ في هذا القسم من الانجيل صدىً جديداً، فهي تمهِّد لزمن الكنيسة، متجاوزةً سرّ الفصح.

آ) رسالة يسوع (١٢ / ٤٩ — ٥٣)

ترد الأقوال التي يتحدَّث فيها يسوع عن رسالته في ختام سلسلة تعاليم ألقاها على التلاميذ. تبتدئ هذه التعاليم في ١٢ / ٢٢ وتتناول، انطلاقاً من ١٢ / ٣٥، موضوع السهر بانتظار الرب. وتليها دعوة الجموع الى تمييز معنى الزمن الحاضر (١٢ / ٥٤ — ٥٦) والى التوبة بسبب الدينونة الآتية (١٢ / ٥٧ — ١٣ / ٩). فهذا الإطار هو أخيري ولا شك، موجَّه نحو آخِر الأزمنة، ومسيحاني ضمناً.

والفقرة الصغيرة ١٢ / ٤٩ — ٥٣ تشكِّل وحدة، لأنها تضمّ ثلاثة أقوال يحدِّد يسوع فيها رسالته بالكلام على نفسه في صيغة المتكلِّم، وهو أمر نادر. وينفرد لوقا بالآية ٤٩، كما ينفرد بالآية ٥٠ ب. وللآية ٥٠ آ آية موازية هي مر ١٠ / ٣٨

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ب، كما أن للآيات ٥١ — ٥٣ آيات موازية هي متى ١٠ / ٣٤ — ٣٦. فمن الراجح أن تلك الاقوال الثلاثة كانت مستقلّة أصلاً وأنها جُمعت في أثناء تناقلها في التقليد، نظراً الى صيغتها المشتركة.

يصعب تفسير هذه الأقوال، لأننا نجهل ما هو إطارها الاصلي. ويمكن أن يكون لوقا قد اعاد تفسيرها انطلاقاً من اوضاع زمنه.

في القول الأول، يقول يسوع إنه أتى يُضرم في الأرض ناراً، ويُشعر برغبته في أن تشتعل. وهذا يعني أن ذلك الالتهاب لا يزال في صيغة المستقبل. ولكن ماذا تعني هذه النار؟ قد يُقصد بها، في لغة الأنبياء، تلك الدينونة الأخيرة التي تطهِّر المختارين وتُبيد الكفّار. يعني هذا التفسير أن يسوع يُنبئ هنا بدوره في التحقيق الأخيري للشعب المقدَّس. ويمكن أن يطبِّق لوقا هذا الكلام على نار العنصرة، فقد تكلَّم عليها فيما بعد في سفر اعمال الرسل (٢ / ٣ و ١٩). ذلك بأن الروح هو، في نظره، هبة القائم من الموت لكنيسته (لو ٢٤ / ٤٩ ورسل ٢ / ٣٣) واستباق للأيام الأخيرة (رسل ٢ / ١٧ وراجع ٢ قور ١ / ٢٢ و ٥ / ٥ وروم ٨ / ٢٣).

ولكن يسوع لا يستطيع توفير تلك الهبة للمؤمنين، ما لم يمرَّ بشرط مُسبَق يُرهقه احتمالُه: يتحدَّث عن معمودية عليه أن يقبلها (الآية ٥٠). سبق له أن قبل معمودية يوحنا المعمدان، حين باشر رسالته (٣ / ٢١)، فدخل في مسيرة التوبة التي انطلق فيها كل شعبه، بالقيام برتبة اطِّهار تقليدية. لم يبحث فيها لنفسه عن طهارة طقسية ولا عن غفران بخطايا شخصية، وهذا أمر لا يذكره الانجيل أبداً، بل جاء يتضامن مع شعبه الخاطئ، في التوبة التي تُعدُّه للغفران الآتي. والمعمودية التي يتحدَّث عنها الآن، يبدو أنها محنة لا بدّ له أن يتحمَّلها لتطهير شعبه. ورد في مر ١٠ / ٣٨ أنها الآلام المقبلة، ومن الراجح أن لوقا يرى هذا الرأي (١٢ / ٥٠ تابع لـ ١٢ / ٤٩، كما أن ١٧ / ٢٥ تابع لـ ١٧ / ٢٤).

وإذا وجب على يسوع أن يمرَّ بالمحنة، فعلى كلٍ من الذين يتبعونه أن يمرَّ أيضاً بها. أتى بالسلام المشيحي الذي وعد به الأنبياء (اش ٩ / ٥ — ٦ و ١١ / ٦ — ٩ ومي ٥ / ٤... وراجع ٢ / ١٤ و١٩ / ٣٨)، لكن هذا السلام ليس هو ذلك السلام الرخيص والخالي من المتطلّبات، الذي وعد به الأنبياء الكذّابون (مي ٣ / ٥ — ٨ وار ٦ / ١٤ و ٨ / ١١... وحز ١٣ / ٨ — ١٦...)، فإنه يفترض قرار ايمان شخصي. وبذلك يولِّد الانقسام بين الذين يوجَّه إليهم (الآية ٥١ في متى ١٠ / ٣٤ ذِكر للسيف، وفي لو ٢ / ٣٤ — ٣٥ نجد الاستعارة نفسها للإنباء بانقسام اسرائيل). ويوصف الانقسام في العائلات (الآيتان ٥٢ — ٥٣) بحسب ما ورد في مي ٧ / ٦، ولعلَّ يسوع رأى فيه إنباءً بآخِر الأزمنة. ومن المحتمل أن يكون لوقا قد رأى اتمام هذا الكلام في انقسام العائلات امام الانجيل (راجع ٢١ / ١٦).

ففي مختلف أقوال يسوع المجموعة في هذه الفقرة عدَّة وجوه لرسالته: مهمّته الأخيرية

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

كمُنشئ الشعب المقدَّس (الآية ٤٩)، وشرط الآلام المُسبَق (الآية ٥٠)، واتّخاذ الموقف الذي يفرضه على الذين يؤمنون به والذين يجب عليهم لذلك أن يواجهوا أشدّ الانقسامات ألماً (الآيات ٥١ — ٥٣).

ب) كُتِبَ للنبيّ أن يموت (١٣ / ٣١ — ٣٣)

في بداية المقطع الثاني للصعود الى اورشليم (١٣ / ٢٢ — ١٧ / ١٠)، يورد لوقا عدّة انباءات برفض اسرائيل ليسوع وبدعوة الوثنيين (١٣ / ٢٣ — ٣٥ و ١٤ / ١٥ — ٢٤). وفي هذا الإطار يروي تهديد هيرودس انتيباس ليسوع والجواب الذي أدلى به المعلّم.

ينفرد لوقا بهذه الحلقة، كما ينفرد بعدّة معلومات أخرى عن هيرودس انتيباس (لو ٢٣ / ٧ — ١٢ ورسل ٤ / ٢٧ وراجع لو ٨ / ٣ ورسل ١٣ / ١). والرواية متأثّرة تأثّراً شديداً بأسلوبه، ولكن يبدو أنه حافظ على بعض المعلومات التي ترقى الى عهد قديم. ذلك بأنه يرينا هيرودس معادياً ليسوع، خلافاً لما ورد في لو ٩ / ٩ و ٢٣ / ٨، حيث نراه متشوّقاً الى «رؤية» المعلّم. وفضلاً عن ذلك، لا تتّفق الآية ٣٢ مع الآية ٣٣: ففي الآية الأولى، يبدو «اليوم الثالث» يومَ نهاية يسوع، وفي الآية الأخرى هو يوم من أيام مسيرته.

في مطلع تلك الرواية القصيرة، أخبر بعض الفريسيين يسوع بأن انتيباس يريد قتله (الآية ٣١). اذا كان هذا الأمر يتعارض مع ما ورد في لو ٩ / ٩ و ٢٣ / ٨، فليس في حدّ ذاته ما يبدو غير معقول، اذ أن هيرودس سبق أن قتل يوحنا المعمدان، وان هناك مصدر قديم يرويه لوقا في رسل ٤ / ٢٧، يعدّه مسؤولاً عن موت يسوع. ويختلف المفسّرون أيضاً في معنى المسعى الذي قام به الفريسيون. يرى بعضهم فيه مناورة معادية واكذوبةً لحمله على الانصراف. لكن هذا لا يبدو أنه خطر ببال لوقا، فإنه لا يذكر شيئاً من ذلك، وهو يهتمّ هنا بهيرودس لا بالفريسيين، لاسيّما وانه الإزائي الوحيد الذي لا يجعل الفريسيين كل مرّة في عداد أعداء يسوع، بل يذكر مَن أظهروا عطفاً عليه (٧ / ٣٦ و ١٢ / ٣٧ و ١٤ / ١) وعلى تلاميذه (رسل ٥ / ٣٤ و ٢٣ / ٦ — ٩ و ٢٦ / ٥).

يوجَّه القسم الأول من جواب يسوع (الآية ٣٢) الى هيرودس. لم يكن سوى ثعلب، لم يكن ذئباً ولا أسداً، فهو لا يشكّل خطراً. لا يخاف يسوع منه فسيواصل رسالته. ولقد حدَّدها بطرد الشياطين وشفاء المرضى (وكثيراً ما جمع لوقا بينهما: ٤ / ٣٩ و ١٣ / ١١ — ١٧ ورسل ١٠ / ٣٨). ستكون هذه الرسالة قصيرة (عبارة «ثلاثة أيّام» تعني «في مهلة قصيرة»). وسوف ينتهي أمر المعلّم، بمعنى هذه العبارة المزدوج: الموت والوصول الى أجَل مهمّته.

أمّا القسم الثاني من الجواب، فإنه يُهمل هيرودس، لكنه يوضّح الإنباء بموت يسوع (الآية ٣٣). لا يدور الكلام بعد الآن على رسالته، بل على أجَله، في مهلة قصيرة دائماً. «يجب» على

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

يسوع أن يواصل سيره نحو أورشليم (فعل «يجب» يعبّر عن الإرادة الالهية)، وان يموت هناك ككل نبيّ (راجع ٦ / ٢٣ و ١١ / ٤٧ — ٥١). هذان موضوعان يمتاز بهما انجيل لوقا: من جهة، يسوع هو نبيّ، ينقل كلمة الله (٤ / ١٨ و ٢٣ و ٧ / ١٦ ورسل ١٠ / ٣٨)، ومن جهة أخرى، سيموت موت النبيّ، ويختم بدمه شهادته (٢٢ / ٦٧ — ٧١ ورسل ٧ / ٥٢).

أراد لوقا أن يشرح ذلك الإنباء، فجعل في هذا المكان صرخته في أورشليم، قاتلة الأنبياء (الآيتان ٣٤ — ٣٥)، وهي في مكان أنسب في انجيل متى (٢٣ / ٣٧ — ٣٩: في أورشليم، في نهاية المواجهة بين يسوع والمدينة)، ولكنها امتداد واضح للآية ٢٣: جاء يسوع ليجمع أبناء أورشليم، جميع أبناء اسرائيل. لكن المدينة رفضت خلاصها. فسيترك الله هيكله (راجع حز ٨ — ١١)، وسيغيب يسوع ولن يُرى بعد ذلك إلاّ عند مجيئه في آخِر الأزمنة (راجع مر ١٤ / ٦٢).

يبدو هنا المعنى التام الذي يُضفيه الله على لقب «النبي»، حين يُطلقه على يسوع: فهو يعني معجزاته وشهادته وموته.

ج) يوم ابن الانسان (١٧ / ٢٢ — ٣٧)

في بدء المقطع الثالث للصعود الى أورشليم (١٧ / ١١ الى ١٩ / ٢٨)، يعرض لوقا عدّة تعاليم في حلول الخلاص: حضور ملكوت الله (١٧ / ٢٠ — ٢١) والمجيء الأخير لابن الانسان «في يومه» (١٧ / ٢٢ — ٣٧) والدعوة الى الصلاة دون انقطاع والثقة في انتظار تلك الدينونة، على الرغم من إبطائها (١٨ / ١ — ٨).

في متى ومرقس، خُطبة واحدة ليسوع في آخِر الازمنة (متى ٢٤ — ٢٥ ومر ١٣ / ١ — ٣٧)، وفي لوقا خُطبتان: في الفصل ١٧ والفصل ٢١. سنتوقّف هنا عند ١٧ / ٢٢ — ٣٧.

يتناول هذا الشرح «يومَ ابن الانسان» (الآيات ٢٤ و ٣٠ و ٣١). ولهذا النص آيات موازية متبعثرة في متى ٢٤ / ٢٦ — ٢٧ و ٣٧ — ٣٩ و ١٧ — ١٨ و ٤١ و ٢٨. من المحتمل أن

مجيء الملكوت (لو ١٧ / ٢٠ — ١٨ / ٨)

١. حضور ملكوت الله: ١٧ / ٢٠ — ٢١
٢. مجيء ابن الانسان في نهاية العالم: ١٧ / ٢٢ — ٣٧
آ) قبل يوم ابن الانسان: ١٧ / ٢٢ — ٢٥
٢٧ / ٢٢ — ٢٣ = متى ٢٤ / ٢٦ — ٢٧
ب) الحدث غير المنتظَر: ١٧ / ٢٦ — ٣٠
١٧ / ٢٦ — ٢٧ = متى ٢٤ / ٣٧ — ٣٩
ج) الحث على الصلاة: ١٧ / ٣١ — ٣٣
١٧ — ٣١ = متى ٢٤ / ١٧ — ١٨ ومر ١٣ / ٣١ — ٣٣
١٧ / ٣٣ = متى ١٦ / ٢٥ و ١٠ / ٣٩ ومر ٨ / ٣٥ ولو ٩ / ٢٤ ويو ١٢ / ٢٥
د) أسس هذا الحث: ١٧ / ٣٤ — ٣٧
١٧ / ٣٥ = متى ٢٤ / ٤١
١٧ / ٣٧ = متى ٢٤ / ٢٨
٣. الصلاة في الانتظار: ١٨ / ١ — ٨

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

تكون جميع هذه العناصر من مصدر مشترك أخذ عنه متى ولوقا، ويرجَّح أنه كان يحتوي أيضاً على الآيات ٢٨ — ٣٠ و ٣٤ الواردة في انجيل لوقا. أمَّا الآية ٣٣ التي نجدها في لوقا، فإنها مأخوذة من قول ليسوع نقلته منفرداً عدَّة طرق من طرق التقليد. ويمكن نسبة الآيات ٢٢ و ٢٥ و ٣٢ و ٣٧ آ الى تأليف لوقا.

تنقسم تلك الخُطبة، في صيغتها الحالية عند لوقا، الى أربعة أقسام:

— الآيات ٢٢ — ٢٥: قبل يوم ابن الانسان: الرغبة في رؤية هذا اليوم وهيبة الانتظار (الآية ٢٢)، والإنباءات الكاذبة بحضوره (الآية ٢٣، ومجيئه الظافر غير المتوقَّع (الآية ٢٤)، وشرط الآلام المُسبق (الآية ٢٥) وهو يذكِّرنا بـ ٩ / ٢٢ و ١٢ / ٤٩ — ٥٠ و ٢٤ / ٢٦.

— الآيات ٢٦ — ٣٠: المجيء غير المنتظر، وهو يشبه دينونة الله في الطوفان (الآيتان ٢٦ — ٢٧) وخراب سدوم (الآيات ٢٨ — ٣٠).

— الآيات ٣١ — ٣٣: ارشاد: التضحية بكل شيء في سبيل الخلاص.

— الآيات ٣١ — ٣٧: اساس الإرشاد: سيُدان كل واحد بمفرده (الآيتان ٣٤ — ٣٥)، ولن يُفلت الانسان من الدينونة، كما لا تُفلت الجثَّة من النسور (الآية ٣٧: راجع اش ١٨ / ١٦ و ٣٤ / ١٥ — ١٦ وار ٧ / ٣٣ و ١٢ / ٩... وحز ٣٩ / ١٧ وروٴ ١٩ / ١٧ — ١٨).

فلا نجد إذاً في هذا النص لوحةً تصف الدينونة الأخيرة (كما في لو ٢١ / ٢٥ — ٢٧ أو متى ٢٥ / ٣١ — ٤٦) بقدر ما نجد فيه اعلاناً لمجيئها المفاجئ ولاسيّما حثًّا على الاستعداد لمواجهتها (راجع لو ١٢ / ٣٥ — ٤٨ و ٢١ / ٣٤ — ٣٦). يستبعد لوقا، كما يفعل في عدَّة فقرات من اعماله، مجيئاً سريعاً جداً للدينونة (الآيتان ٢٢ — ٢٣ وراجع ١٩ / ١١ و ٢١ / ٨ — ٩ ورسل ١ / ٦ — ٧). فإن خبرته ساعدته على اكتشاف دوام الكنيسة.

حين نبحث في سرّ يسوع عند لوقا، نجد أن أهم ما ورد في هذه الفقرة هو نسبة لقب ابن الانسان الى يسوع. وفي هذا الأمر، يكاد لوقا أن لا يختلف عن متى ومرقس. فهو يجعل دائماً هذا اللقب على لسان يسوع (إلاَّ في رسل ٧ / ٥٦ الذي سيرد الكلام عليه)، ويستعمله عادةً، على غرار متى ومرقس، للتعبير عن وظائف يسوع الثلاث نفسها:

- دوره «الأخيري»، المرتبط بدينونة آخِر الأزمنة: ٩ / ٢٦ و ١٢ / ٨ و ٤٠ و ١٧ / ٢٢ و ٢٤ و ٢٦ و ٣٠ و ١٨ / ٨ و ٢١ / ٢٧ — ٣٦.
- دوره «التاريخي» في رسالته على الارض بما فيها سلطاته (٥ / ٢٤ و ٦ / ٥)، ووظيفته كآية (١١ / ٣٠) وكمخلِّص (١٩ / ١٠)، وفقره (٩ / ٥٨)، والرفض الذي يلقاه من قِبَل خصومه (٧ / ٣٤ و ١٢ / ١٠).
- آلامه التي أرادها الآب: ٩ / ٢٢ و ٤٤ و ١٧ / ٢٥ و ١٨ / ٣١ و ٢٢ / ٢٢ و ٤٨ و ٢٤ / ٧.

وهناك أمور ينفرد بها لوقا مع ذلك في استعمال لقب ابن الانسان:

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

● ينفرد باستعماله هذا اللقب للدلالة على حضور يسوع لتلاميذه في الكنيسة بعد الفصح (٦ / ٢٢ و ٢٢ / ٦٩ ورسل ٧ / ٥٦).

● يستعمله مرَّة واحدة في الكنيسة بعد الفصح على لسان اسطفانس عند موته (رسل ٧ / ٥٦)، فالراجح أنه يتَّبع هنا تقليداً فلسطينياً.

● لا يذكره أبداً في انجيل الطفولة.

وهذه الأمور تمكّننا من الإدلاء ببعض التأويلات:

● يرى لوقا في هذا اللقب تسمية تقليدية ليسوع، يرقى عهدها الى المعلّم نفسه.

● ويرى فيه عبارة فلسطينية، لا تُستعمل في العالم الهلّنستي حيث يصعُب فهمها (لا يستعملها بولس أبداً).

● يستعملها هو نفسه للدلالة على وحدة سرّ يسوع في مختلف مراحل رسالته: حياته على الأرض (حيث ينفرد لوقا بقوله إنه المخلّص: راجع ١٩ / ١٠)، وآلامه، ودوره كقائم من الموت في الكنيسة (ميزة خاصّة بلوقا)، ومجيئه الأخيري (أقدم وجوه الكتاب).

● يبدو أن غياب هذا اللقب في انجيل الطفولة يدل على أن لوقا يولي هذا اللقب شأناً أقلّ من الشأن الذي يوليه لألقاب «ابن الله» و«الرب» و«المسيح، ابن داود».

د) مثل: المُطالب بعرش يذهب ليحصل على المُلك (١٩ / ١١ — ٢٧)

ينتهي المقطع الثالث للصعود الى أورشليم بضرب مثلٍ، كما انتهى المقطعان الأوَّلان (١٣ / ١٨ — ٢١ و ١٧ / ٧ — ١٠). تحيط بهذا المثَل تحيَّتان مشيحيتان الى يسوع: يوجِّه الواحدة أعمى أريحا («ابن داود»، ١٨ / ٣٨ — ٣٩)، والأخرى «جماعة التلاميذ» («المَلِك الآتي باسم الربّ»، ١٩ / ٣٧ — ٣٨). وهذا النص يوحي بأن في المثَل هدفاً مشيحياً.

لهذا المثل ما يعادله في انجيل متى، وهو مثل الوزنات (متى ٢٥ / ١٤ — ٣٠: والراجح أن اسم «مَثَل الأمْناء» الذي يُطلَق عليه أتاه من هنا). لكن نص لوقا يختلف كل الاختلاف عن نص متى بإطاره (يورده متى في الخُطبة الأخيرية) ومضمونه. فإن لوقا يُدخل في نصّه جميع الملامح الأساسية التي وردت عند متى (لو ١٩ / ١٢ آ و١٣ و١٥ ب — ٢٦)، لكنه ينفرد بضمّه إليها عناصر تؤلِّف قصَّة المُطالب بعرش الذي يذهب ليحصل على المُلك (الآية ١٢ ب و ١٤ — ١٥ و ٢٧ وكذلك ١٧ ب و ١٩ ب): يبدو أن هذه القصة تنتحل قصة أرخلاَّوس الذي ذهب الى رومة ليحصل على المُلك بعد وفاة والده هيرودس الكبير في السنة ٤ ق. م. (وردت هذه القصة عند المؤرِّخ اليهودي فلافيوس يوسيفس). اقترح المفسِّرون عدَّة افتراضات لتفسير الصلة القائمة بين النصَّين: فهل هناك مَثَلان مختلفان في الأصل (كلّياً أو جزئياً)؟ أم هل هناك مثَل قديم واحد هو مثل لوقا (اختصره متى) أو مثل متى (توسَّع فيه لوقا أو وجده على هذه الحال)؟ كثير من المفسِّرين يعتقدون اليوم بأن لوقا هو الذي توسَّع في المَثَل

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الأصلي، وبأن نص متى هو أقرب إليه. ويبنون رأيهم على أسباب تبدو وجيهة: اهتمام لوقا الخاص بمُلْك يسوع (لو ١ / ٣٣ و ١٩ / ٣٨ و ٢٢ / ٢٩ — ٣٠ و ٢٣ / ٤٢ ورسل ١٧ / ٧)، وكون لوقا وحده يورد في مؤلَّفاته سلسلة معلومات عن الذين يحملون اسم هيرودس.

لمَثَل متى هدف أخلاقي محض: على كل انسان أن يستثمر موهبته. لكن مثَل لوقا، من دون أن يُحذف هذا الدرس، يجعل في مكان الصدارة حصول يسوع على المُلْك، وهو ما يقوم عليه دوره كديَّان أخيري. ذهب أرخلاَّوس الى رومة ليحصل على المُلْك لدى اوغسطس. أمّا يسوع، الذي كُتب له المُلك منذ ميلاده (١ / ٣٢ — ٣٣ و ٣ / ٢٣ — ٣٠)، فعليه أن «يرحَل» (٩ / ٣١) للحصول على تنصيبه الكامل (١٩ / ١٢). يجده لدى الآب في قيامته المشروطة بموته أوّلاً (لو ٢٢ / ٦٩ و ٢٣ / ٤٢ و ٢٤ / ٢٦ ورسل ٢ / ٣٦ و ١٣ / ٣١). حين ذهب ارخلاَّوس الى رومة لينال من اوغسطس تثبيتاً لوصية هيرودس التي اختارته للمُلْك، تبعه وفد مؤلَّف من خمسين يهودياً قصدوا رومة ليسألوا الامبراطور أن يُلغي المُلك الهيرودي ويضمّ بلادهم الى الامبراطورية مباشرةً (الآية ١٤). وهذا شأن يسوع، فسترفضه أورشليم (١٩ / ٤١ — ٤٤) وشعبه (رسل ٢ / ٢٣ و ٣ / ١٣...) ولاسيّما حكّام اسرائيل (لو ٢٢ / ٢ و٦٦ — ٧١... ورسل ٤ / ١٠ و ٥ / ٣٠...). عاد ارخلاَّوس من رومة، في آخِر الأمر، مزوَّداً بالمُلك على اليهودية. لم يَروِ يوسيفس أنه انتقم من الذين عارضوا حصوله على المُلك، لكنه دلّ في مكان آخر على ما أظهره من شراسة واستبداد: وهذا ما يوافق ما ورد في الآية ٢٧. ومن الراجح أن لوقا يطبِّق هذا الأمر على خراب أورشليم، فإنه يشدِّد عليه (١٩ / ٤١ — ٤٤ و ٢١ / ٢٠ — ٢٤ و ٢٣ / ٢٨ — ٣١) ويصوِّره بصورة عِقاب أُنزل بالمدينة لأنها رفضت يسوع (١٩ / ٤٤).

وهكذا فإن مثَل لوقا، خلافاً لمَثَل متى، يركِّز كله على حصول يسوع على المُلك. وهذا الحصول مشروط بـ «رحيل» المسيح الذي سبَّبه رفض اسرائيل. لكن يسوع سيعود، مقلَّداً بالقدرة المَلَكية، لإجراء الدينونة. وهذا التعليم المعروض باستعارات مختلفة يكاد أن لا يختلف عن التعليم الوارد في ١٧ / ٢٢ — ٣٧.

بقي أن نشير الى وظيفة المثَل في إطاره. انتهى الصعود الى أورشليم، وأطلق أعمى أريحا على يسوع لقب «ابن داود» (١٨ / ٣٨ — ٣٩)، وهو على وشك الدخول الى المدينة في هتافات تلاميذه الذين ينادون به ملكاً (١٩ / ٣٧ — ٣٨). لكن أورشليم سترفضه (١٩ / ٤١ — ٤٤) كما أنبأ بالأمر في المثَل (١٩ / ١٤). عند عتبة القسم الثالث من الانجيل، يُعلن هذا المثل والمشهد التالي حدث الفصح بكامله، كما أن حلقة الناصرة (٤ / ١٦ — ٣٠) كانت، في بدء الرسالة، صورة سابقة للخلاص الذي عرضه يسوع والرفض الذي أجاب به اسرائيل.

لم نستطع شرح جميع النصوص «المسيحانية»

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الواردة في صعود يسوع الى أورشليم. ومع ذلك، فإن تلك البحوث تمكّننا أن نفهم كيف أن هذه الرحلة تكشف عن سرّ يسوع. يأتي المعلّم الى أورشليم ليموت فيها ويقوم من الموت. وبذلك يحصل على المُلك، مع أن هذا الحصول مبنيّ على ميلاده (١ / ٣١ — ٣٣ و ٤٣ و ٢ / ١١ — ٢٦) وعلى الرسالة التي نالها عند اعتماده (٣ / ٢٢).

أورشليم (لو ١٩ / ٢٩ الى ٢٤ / ٥٣)

في القسم الثالث من الانجيل، لا فرق في التصميم العام بين لوقا من جهة، ومرقس ومتى من جهة أخرى. فعنده ثلاثة مقاطع، كعند كلّ منهما:

* ١٩ / ٢٩ — ٢١ / ٣٨: نشاط يسوع في أورشليم.
* ٢٢ — ٢٣: آلام يسوع.
* ٢٤: يوم الفصح في أورشليم.

يتّسم كل من هذه المقاطع، ولاسيّما الثاني والثالث، بابتكارية كبيرة.

١. نشاط يسوع في أورشليم (١٩ / ٢٩ — ٢١ / ٣٨)

في هذا المقطع، لا فرق بين حلقات لوقا من جهة، وحلقات مرقس ومتى من جهة أخرى. لكنه يضفي على الحلقة الأولى صيغة ومعنى يمتاز بهما.

آ) دخول يسوع الى أورشليم (١٩ / ٢٩ — ٤٨)

وردت هذه الحلقة في الاناجيل الأربعة، علماً بأن رواية لوقا تشابه، في الآيات ٢٩ — ٣٦ و ٤٥ — ٤٨، رواية مرقس. لكنها تتفق مع انجيل متى وتختلف عن انجيل مرقس بكونها تجعل من طرد الباعة من الهيكل خاتمةً للدخول المشيحي الذي قام به يسوع. ولها صلة محدودة بـ يو ١٢ / ١٣ (لقب «الملك» = لو ١٩ / ٣٨)، و ١٢ / ١٧ (ذكر بعض المعجزات = لو ١٩ / ٣٧)، و١٢ / ١٩ (رد فعل الفريسيين= لو ١٩ / ٣٩). ينفرد لوقا بالآيات ٥٣ ب و ٣٧ — ٣٨ التي تذكّرنا برواية تتويج سليمان (١ مل ١ / ٣٣ و ٣٨ و ٤٠ و ٣٩ في الكتاب المقدس اليوناني): يجوز لنا أن نرى في هذا الملِك مثال المشيح، لأنه ابن داود ولأن اسمه يعني «المسالم» (١ اخ ٢٢ / ٩). ينفرد لوقا بعرض نُبذ قصيرة في الآيات ٣٩ — ٤٠ و ٤١ — ٤٤، وهي تجهّز معلومات قديمة (عن الآيتين ٣٩ — ٤٠، راجع متى ٢١ / ١٥ — ١٦). وأخيراً فإن تحريره ينظّم ويوحّد الموادّ التي وجدها، بتشديد على ثلاث «مقاربات» متتالية (الآيات ٢٩ و ٣٧ و ٤١) قبل «الدخول» الأخير الى الهيكل (الآية ٣٥) ومشهد تعليم يسوع «كل يوم» في هذا المكان (الآيتان ٤٧ — ٤٨).

في أمر تنظيم الموكب (الآيات ٢٩ — ٣٦)، لا تختلف رواية لوقا عن رواية مرقس (٣١)، إلاّ أنه يشير في الآية ٣٢ الى صواب توقُّع يسوع (الكلمات نفسها، في مر ١١ / ٦، تشير الى

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

خضوع التلاميذ لوصية المعلِّم) ويُظهر في الآية ٣٥ صلة أولى بـ ١ مل ١ / ٣٣ (الكتاب المقدس اليوناني).

والآية ٣٧ هي مقاربة جديدة ولها عدّة صلات بالموكب الملكي الذي رافق سليمان (١ مل ١ / ٣٨ — ٤٠). وهي تمهِّد لمقطع جديد (الآيات ٣٧ — ٤٠) يتجابه فيه تفسيران لسرّ يسوع، بحسب الموضوع الخاصّ بلوقا في انقسام الناس امامه (راجع ٢ / ٣٤ و ١٢ / ٥١، وراجع أيضاً متى ٢١ / ١٥ — ١٦):

* «جماعة التلاميذ» تهتف لله من أجل معجزاته المعلِّم. وتُبارك يسوع بصفته «الملك الآتي باسم الرب» (الآية ٣٨). تبدو العبارة أبعد عن الساميَّة من عبارة مرقس ومتى وما فيها من «هوشعنا» ومن استناد الى داود، لكنها تنادي هي أيضاً بالملِك المشيح. أمَّا الهتاف الأخير «السَّلام في السماء والمجد في العلى»، فهو يشبه نشيد الملائكة عند ميلاد يسوع (٢ / ١٤)، لكنه يجعل السلام في السماء، لدى الله الذي يستطيع وحدَه أن يمنحه (راجع الآية ٤٢). وكل شيء يتهي بمجد الله كما في متى ومرقس. وهكذا يُعلن التلاميذ ايمانهم: فهم يرون في يسوع الملِك المشيح الذي يأتي بخلاص الله.

* أمام هؤلاء المؤمنين، يظهر الفريسيون للمرَّة الأخيرة عند لوقا (الآية ٣٩). وهم يحترمون يسوع ويدعونه «يا معلِّم»، ولا يتهجّمون عليه، بل يسألونه أن يُسكت تلاميذه. فهل تدخُّلهم هو احتجاج أم دعوة الى الفطنة؟ لا يمكننا أن نستخلص الجواب من نص لوقا. مهما يكن من أمر، فإنهم لا يؤمنون بأن يسوع مَلِك مشيحي. لكنَّ يسوع رفض أن يستنكر ما ورد على لسان تلاميذه (الآية ٤٠)، ولم يفرض عليهم السكوت، كما فعل يوم شهد له بطرس (٩ / ٢١). فلقد حان له أن يُعلن مُلْكه، ومجيئه الى أورشليم هو زيارة مَلِك. أمَّا قوله الأخير («لَهتفتِ الحجارة!»)، فهل هي مجرَّد مبالغة؟ أم هي تشير الى خراب أورشليم؟ قد تنتقل بنا هذه الفقرة الى التفسير الثاني.

لقد تقدَّم يسوع أيضاً في اقترابه (الآية ٤١)، وها هو وجهاً لوجه أمام أورشليم (الآيات ٤٢ — ٤٤). لم يرد في التصميم العام المشترك بين الازائيين الثلاثة أن يسوع بشَّر فيها. لكن لوقا يُشعرنا هنا، كما في ١٣ / ٣٤، بأن ذلك التصميم اصطناعي الى حد بعيد. فإن يسوع يبكي على المدينة، لأنها لم ترَ في مجيئه طريق السلام (الآية ٤٢ وراجع ١٩ / ٣٨). فهو يصف خرابها منذ الآن (الآيتان ٤٣ — ٤٤) ويكشف عن السبب: رفضت أورشليم ذلك الخلاص الذي عرضه الله عليها في مجيء يسوع بصفته ملكاً (الآية ٤٤). وفي هذا القول الذي ينفرد به لوقا، من الراجح أنه يستخدم معلومات قديمة تعود الى التقليد الساميّ، ويوضِّحها في ضوء استيلاء طيطس على أورشليم في السنة ٧٠. وهو يريد أن يرينا في مجيء يسوع الى المدينة فرصةً عرضها الله عليها في سبيل خلاصها، لكنها رفضتها.

وأخيراً وصل يسوع الى الهيكل، وهو هدف

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

مجيئه الى أورشليم (الآية ٤٥). كرَّر لوقا حتى الآن أن المعلِّم يسير الى أورشليم (٩ / ٥١ و ٥٣ و١٣ / ٢٢ و ٣٣ و١٧ / ١١ و ١٨ / ٣١ و ١٩ / ٢٨)، لكنه يرى في المدينة مكان الوحي الذي يتمّ على وجه مثالي في هيكلها (١ / ٩ و ٢ / ٢٧ و٤٦و٤ / ٩ و ٢٤ / ٥٣). منذ لحظة، ظهر يسوع بمظهر المَلِك في موكب يماثل موكب سليمان، وأدلى بحُكمه على المدينة التي لم تؤمن. أمَّا الآن فإنه يكشف عن معنى مُلكه، وهو أنه يجدِّد الهيكل في وظيفته كبيت صلاة (الآيتان ٤٥ — ٤٦) لإسرائيل (لا «للوثنيين»، كما ورد في مر ١١ / ١٧ الذي يستشهد بـ اش ٥٦ / ٧). وأقام يسوع في الهيكل يعلِّم «كلّ يوم». ليس هو المشيح السياسي الذي يتوقَّعه الرجاء القومي، بل المَلِك الذي أتى يفتقد شعبه ليوفِّر عبادة الله ويُعلن كلمته.

ب) نصوص أخرى

في الفصلين ٢٠ — ٢١ عدّة وجوه أخرى لسرّ يسوع.

سأل أعضاء المجلس اليهودي يسوع عن السلطان الذي يدَّعيه، فأجاب متضامناً مع يوحنا المعمدان، مع النبي (٢٠ / ١ — ٨).

وأضاف مَثَلَ الابن الحبيب الذي قُتل (٢٠ / ٩ — ١٩)، وفيه يشبِّه موت يسوع، كما فعل مرقس ومتى، بموت الأنبياء. لكنه ينفرد بإظهار يسوع في وظيفته المزدوجة كحجر زاوية وحجر عثرة (الآيتان ١٧ — ١٨ = اش ٢٨ / ١٦ و ٨ / ١٤ — ١٥ وراجع لو ٢٢ / ٣٤).

وأمَّا سؤال يسوع عن المسيح ربّ داود (٢٠ / ٤١ — ٤٤)، فإنه يشير، كما في مرقس ومتى، الى تعالي مشيحيته.

وفي الخطبة الأخيرية (٢١ / ٨ — ٣٦)، ينبئ الأزائيون الثلاثة بعودة يسوع في آخِر الأزمنة (راجع لو ١٧ / ٢٢ — ٣٧)، لكن مرقس يذكر إبطاء هذه النهاية (الآيتان ٩ و ١٢) ويميِّزها عن خراب أورشليم على وجه أوضح ممَّا ورد في مرقس ومتى (الآيات ٢٠ — ٢٤).

٢. آلام يسوع (٢٢ — ٢٣)

يخصّص لوقا لآلام يسوع، كما فعل مرقس ومتى، رواية طويلة يفتتحها، على مثالها، بالعملَين اللذَين يضفيان عليها معناها: تشاور السلطات اليهودية التي عزمت على قتل يسوع (وهو نبذ المسيح من قِبَل شعبه) والعشاء الأخير الذي بذل فيه يسوع حياته في سبيل العهد (هذا أسلوب شعب الله الجديد). ثم يتَّفق الإزائيون الثلاثة على تعاقب الحلقات، ويوحنا ينضمّ إليهم ابتداء من إلقاء القبض على يسوع. وبعد ذلك يورد أربعتهم المشاهد التابعة نفسها حتى مشهد القبر في صباح الفصح. ولا شك أن هذا التركيب الأحادي النمط يعود الى تقليد عريق في القدم.

ومع ذلك فإن كل إنجيليّ ينفرد هنا بمعلوماته وتحريره، وهذا شأن لوقا. فإن في روايته عناصر خاصة كثيرة وتفكيراً مميَّزاً، حتى قال كثير من المفسّرين انه يُهمل هنا رواية مرقس ويتَّبع مصدراً آخَر متواصلاً طوالَ رواية الآلام. ولكن

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

يصعب أن نبني هذا الحلّ بناءً متيناً. فإذا صحَّ أن موادَّ أصلية كثيرة كانت في متناول لوقا، فليس من الأكيد أن هذه العناصر كانت متجانسة وعائدة الى مصدر واحد، ومن الواضح أيضاً أن لوقا لا يزال يستخدم نصّ مرقس. ومهما يكن من أمر، فإن لوقا أعاد النظر في معلوماته الى حد بعيد وأدخل فيها فهماً شخصياً للسرّ.

آ) العشاء الأخير (٢٢ / ١٤ — ٣٨)

يروي الإزائيون الثلاثة، في بدء الآلام، العشاء الأخير الذي عبَّر يسوع فيه عن المعنى الذي يُضفيه على موته في تقدمة الخبز والخمر.

يروي لوقا الحدث نفسه، لكن روايته تختلف كل الإختلاف عن الروايات الموازية

* بصياغتها العمل الافخارستي، وهي أقرب الى صياغة بولس (١ قور ١١ / ٢٣ — ٢٥)، على عكس مرقس ومتى.

* بإيراد هذا العمل (الآيتان ١٩ — ٢٠) قبل الإنباء بخيانة يهوذا (الآيات ٢١ — ٢٣)، على عكس مرقس ومتى.

* بجمع عناصر كثيرة في الفصح الأخير (الآيات ١٥ — ١٨) والعِبرةِ المستخلَصة من خدمة يسوع (الآيات ٢٤ — ٢٧) ووعدٍ للاثني عشر (الآيات ٢٨ — ٣٠) والتنبيهات الموجَّهة الى بطرس والآخرين في شأن المحنة الآتية (الآيات ٣١ — ٣٤ و ٣٥ — ٣٨). ثمّ ان الآية ١٨ عند لوقا ترد في مكان آخر عند مرقس (١٤ / ٢٥) ومتى (٢٦ / ٢٩). وهناك آيات أخرى ترد عندهما في أماكن أخرى: الآيات ٢٤ — ٢٧ في مرقس ١٠ / ٤٢ — ٥٢ ومتى ٢٠ / ٢٥ — ٢٨، والآيتان ٢٨ و ٣٠ في متى ١٩ / ٢٨، والآيتان ٣٣ — ٣٤ في مرقس ١٤ / ٢٩ — ٣٠ ومتى ٢٦ / ٣٣ — ٣٤: وهناك عدد وافر من الآيات ينفرد بها لوقا: الآيات ١٥ — ١٧ و ٢٩ و ٣١ — ٣٢ و ٣٥ — ٣٨.

وهذه الأمور تطرح السؤال عن معرفة المصادر التي استقى منها لوقا، كما سبق ذكره. ولا بدّ هنا من الإشارة الى حالة خاصّة. ذلك بأن الصيغة الأفخارستية (الآيتان ١٩ — ٢٠) تشبه الصيغة التي وردت عند القديس بولس في ١ قور ١١ / ٢٣ — ٢٥، لكن لوقا أخذها بالأحرى من ممارسة الكنائس التي أسَّسها بولس، لا من نصّ من النصوص (نجهل هل عرف الرسالة الأولى الى اهل قورنتس).

مهما يكن من أمر، يشكِّل نصُّه، في صيغته الحاضرة، وحدة أدبية. فهو خُطبة وداع، ووصية ليسوع، تمهِّد للخُطب التي سترد في يو ١٣ — ١٧. ونجد فيها فكر يسوع في موته والآراء والعِبَر التي يستخلصها «للرسل» (الآية ١٤)، أي للكنيسة التي ستأتي بعده.

أورد الإزائيون الثلاثة إعداد الفصح (لو ٢٢ / ٧ — ١٣)، بناءً على مبادرة من التلاميذ بحسب مرقس ومتى، وبناءً على مبادرة من يسوع بحسب لوقا (الآية ٨). لكن لوقا ينفرد بتصويره العشاء الأخير بصورة عشاء فصحي (الآيات ١٥ — ١٨)، مشيراً بذلك الى ما قصده يسوع، وهو أنه اشتهى شهوةً شديدة أن يأكل هذا

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الفصح قبل موته (الآية ١٥). وسيكون هذا الفصح الأخير، ريثما «تتمّ» هذه الرتبة النبوية في ملكوت الله. وتكرِّر الآيتان ١٧ — ١٨ الإنباء نفسه بالتوازي عند الكلام على كأس الفصح. وهذا يعني أن رتبة الفصح في العهد القديم كانت «صورةً» للوليمة التي هي حياة شعب الله في زمن الخلاص، وفقاً للصورة الكتابية (اش ٢٥ / ٦) التي كثيراً ما كرّرها يسوع (لو ١٣ / ٢٨ — ٢٩ و ١٤ / ١٥ — ٢٤ ومرقس ومتى ٢٢ / ٣٠). في نظر يسوع، تنتهي هذه الرتبة، لأنه يُقيم رتبة أخرى لتلاميذه.

تبتعد صيغة لوقا الأفخارستية (الآيتان ١٩ — ٢٠) عن صيغتَي مرقس ومتى، وتقترب من صيغة بولس. ففي الكلام على الخبز (الآية ١٩) أمران: يُبذل جسد المسيح «من أجلكم»، وهذا ما يُضفي في الظاهر على موته طابع الذبيحة (ربّما وجه استشهاد). وعلى التلاميذ أن يكرِّروا هذا العمل «لذكري»: فبعد الآيات ١٥ — ١٨ في الفصح القديم الذي كان ذكراً للذبيحة التي وجد اسرائيل فيها الحرية (خر ١٢ / ١٤ ومز ١١٤ / ٤ وراجع تث ١٦ / ٣)، تُقيم وصية يسوع فصحاً جديداً يجب الاحتفال به تذكاراً لموته الذبائحي الذي حرَّر شعب الله. والكلام على الكأس (الآية ٢٠) ينبئ بالعهد الجديد (راجع ار ٣١ / ٣١) الذي يُقيم شعب الله الجديد. ويُحقِّق هذا العهد «في دم» يسوع، وهذا ما يُضفي على موته طابع ذبيحة عهد مماثلة لذبيحة سيناء (خر ٢٤ / ٣ — ٨ الذي يشير إليه مر ١٤ / ٢٤ ومتى ٢٦ / ٢٨). كما أن جسد المسيح «بُذل من أجلكم»، «يُراق دمه من أجلكم». يُكمل لوقا هنا صيغة بولس بالعودة الى صيغة مرقس ومتى، لكنه يختلف عنها في أمر واحد: فإن مرقس ومتى يقولان إن هذا الدم يُراق «من أجل جماعة الناس» ويعنيان، ولا شك، موت عبد الله التكفيري الذي ورد ذكره في اش ٥٣ / ١٢. يكتب لوقا: «من أجلكم»، لكنه لا ينفي بذلك شمولية الخلاص الحاصل بموت المسيح، بل يكيِّف هذا الإنباء على المشتركين في الافخارستيا ويخفِّف التلميح الى ما في موت يسوع من طابع تكفيري (سنعود فنجد النزعة نفسها في الآيتَين ٢٧ و ٣٧، وراجع رسل ٨ / ٣٢ — ٣٣).

إن الدرس الذي يلقّنه يسوع للرسل الذين يتنافسون على المرتبة الأولى (الآيات ٢٤ / ٢٧) يقابل، آيةً آيةً، نص مر ١٠ / ٤٢ — ٤٥ ومتى ٢٠ / ٢٥ — ٢٨. ويختلف عنه أيضاً اختلافاً عميقاً بالصياغة، لاسيّما في الآية ٢٧ التي يلمِّح فيها مر ١٠ / ٤٥ ومتى ٢٠ / ٢٨ الى قول الرب (اش ٥٣ / ١٠ — ١٢). إن المفسِّرين يجادلون في صيغة النص «الاصلي». مهما يكن من أمر، ففي هذا الإطار الذي يجابه فيه يسوع الموت، يحدِّد لوقا دوره بدور الخادم، في الاتِّضاع الطوعي، دون الاشارة الى فكرة التكفير. يشبه تفكيره تفكير النشيد المستشهَد به في فل ٢ / ٧ — ٨.

يشكّل وعد يسوع للرسل (الآيات ٢٨ — ٣٠) تعارضاً شديداً مع عبرة التواضع السابقة:

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

فـ« الرَّفع » يأتي بعد الإتِّضاع ، كما في فل ٢ / ٦ — ١١ . يتكلّم يسوع الآن بصفته وارثاً للملكوت ، يتصرَّف به فيقول : « ملكوتي » ، ويعد الرسل الاثني عشر بالجلوس فيه الى مائدته (٢٢ / ١٦ و١٨) وبالاشتراك في سلطانه المَلَكي على كل شعب الله ، بعد أن يكونوا قد اتَّحدوا بمِحنه (الآية ٢٨) . يبيِّن لوقا مرَّة أخرى أن الآلام هي طريق المجد (راجع ١٢ / ٤٩ — ٥٠ و ١٧ / ٢٥ و ٢٤ / ٢٦) .

وفي الإنباءات التالية ، أمور تصف أيضاً دور يسوع : سبق له أن صلَّى لئلاَّ يفقد بطرس إيمانه (الآية ٣٢) ، وهذا ما يدل على دوره كشفيع لدى الآب . و « سيُحصى مع المجرمين » ، بحسب العبارة التي وردت في اش ٥٣ / ١٢ (الآية ٣٧) : يطبِّق لوقا مرَّة أخرى على يسوع قول العبد المتألِّم ، دون أن يواصل النص الذي ينبئ بعد ذلك بدوره التكفيري (وسيفعل ذلك أيضاً في رسل ٨ / ٣٢ — ٣٣ = اش ٥٣ / ٧ — ٨) .

ففي رواية العشاء الأخير عدَّة تفسيرات لموت يسوع (هناك عدَّة « مواقف لاهوتية » ، لأننا لا نجد أية لغة تعبِّر بصورة واحدة عن ملء السرّ :

* يبذل يسوع حياته « من أجل » خاصّته ، قبل أن يقتله خصومه ، عندما كان حرًّا . في هذا الإطار الكتابي ، يتَّسم هذا العمل بطابع ذبائحي .

* وما في هذه التقدمة من طابع ذبائحي تؤيّده الاشارة الى ذبائح الفصح (ميزة العشاء الأخير ، وانشاء « ذِكْر ») والعهد (الكلام على الكأس) . ليس كل ذلك طبعاً سوى استعارات وتشابيه . وهي أقلّ تعبيراً عن « جهازية » الخلاص منها عن ثمار موت يسوع : فمنه سيولد شعب الله النهائي المحرَّر من الشر (الفصح) والأمين أخيراً (العهد الجديد) .

* لوقا أقلّ تشديداً من بولس ومتى ٢٦ / ٢٨ على ما في هذا الموت من طابع تكفيري و« طقسي » ، وأكثر تشديداً على ما في طابعه « الانساني » من خدمة واتِّضاع (الآيتان ٢٧ و٣٧) . وهو يذكِّرنا في هذا الأمر بقول العبد المتألِّم دون الحفاظ على ملامحه التكفيرية ، لأنه يرى فيه بالأحرى موت نبي وشهادة (« استشهاد ») .

* هذا الاتِّضاع الطوعي ينتهي بيسوع وبتلاميذه الى مجد الملكوت (الآيات ٢٨ — ٣٠) ، وهو إتمام الفصح (الآية ١٦) والعهد (الآية ٢٠) .

ب) الصلاة في بستان الزيتون (٢٢ / ٣٩ — ٤٦)

بعد الرجاء والسلام والجلال الذي يتجلَّى في العشاء الأخير الذي يكشف يسوع فيه عمَّا لكأس الخلاص من معنى مقدَّس ، تُبرز صلاته في بستان الزيتون ذلك الوجه الأليم الذي يجده في تلك الكأس . وهنا تظهر حقيقة ناسوته ، ما يجعله أخانا ومخلِّصنا في أعمق شدّتنا .

يستخلص لوقا من تلك الرواية عبرةً لتلاميذه ، فيُحيطها بحثّ مزدوج على الصلاة لعدم الاستسلام للتجربة (الآيتان ٤٠ و ٤٦ : ينفرد بالآية الأولى ، وتصبح الثانية عنده خاتمة الرواية) . وبذلك يوحي بأن يسوع كان لنا قدوة بانتصاره

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

على التجربة بفضل الصلاة، وهو يعبّر عن هذه التجربة بعرضه مشيئة الآب ومشيئة الابن وجهاً لوجه (الآية ٤٢).

في هذه المحنة، يبدو يسوع انساناً حقيقياً. ولا يلبّي الآب صلاته إلاّ بإرسال أحد الملائكة (الآية ٤٣). وفي ذلك دليل على الاتّضاع، لا على فوارق الأمور، وهو يذكّر برواية ايليا في فتور همّته (١ مل ١٩ / ٧ — ٨). وفي هذه «المعركة» الأليمة، يتأثّر يسوع حتى يعرق دماً (الآية ٤٤). لكنه ينتصب أخيراً، غير مهتمٍّ إلاّ بتلاميذه (الآية ٤٥).

ج) مثول يسوع أمام مجلس اليهود (٢٢ / ٦٦ — ٢٣ / ١)

في رواية مثول يسوع أمام مجلس اليهود، عند لوقا، سلسلة وجوه شبه واضحة بما ورد عند مرقس (١٤ / ٥٥ — ٦٤) ومتى (٢٦ / ٥٩ — ٦٦): ذِكر مجلس اليهود، والسؤال عن لقَبَي مسيح وابن الله، وجلوس ابن الانسان عن يمين القدير، والسؤال «ما حاجتنا بعد ذلك الى الشهود؟»... وفي الوقت نفسه، يختلف نص لوقا الى حد بعيد: تمَّ المثول في الصباح، في جلسة واحدة لمجلس اليهود (عند مرقس ومتى، تمَّ المثول في الليل وانعقدت جلسة ثانية في الصباح). ولا يأتي لوقا على ذكر شهود زور ولا يروي كلاماً ليسوع على خراب الهيكل (مع اطّلاعه على هذه المعلومات: راجع الآية ٧١ ورسل ٦ / ١٤). هذا وان لوقا يركّز المشهد كله على رسالة يسوع، فيميِّز بين لقب «مسيح» (الآية ٦٧) و«ابن الله» (الآية ٧٠)، في حين أن مرقس ومتى يربطان بينهما، وينتقل من الواحد الى الآخِر بالتقدّم الذي رأيناه في ١ / ٣٢ و ١ / ٣٥. في ذلك موازاة غريبة لما ورد في يو ١٠ / ٢٤ و ٣٦.

يجادل المفسِّرون هنا أيضاً في المصادر التي استقى منها لوقا. يرجَّح في نظرنا أنه استخدم نص مرقس في عرضه لتفسير الحدث.

فمنذ الكلمات الاولى، يتناول النقاش الدور الذي يقوم به يسوع. سأله المجلس بأجمعه: «أأنتَ المسيح؟» (الآية ٦٧)، ويبدو أنه يفهم هذا اللقب على الطريقة الزمنية والقومية التي كانت سائدة في ذلك الزمن.

أجاب يسوع، ولكنه تحفَّظ بعدّة أمور ينفرد لوقا بذكرها: لا فائدة في جوابه، لأنهم لن يصدّقونه (الآية ٦٨)، ولأن مشيحيته لا تُقبَل إلاّ بالإيمان، وهو لا يستطيع أن يجيب من دون أن يسأل، لأن مشيحيته ملتبسة (راجع يو ١٨ / ٣٤) وهو يعرف أنهم لن يجيبوا عن سؤاله. وهنا مخطوطات تضيف: «ولن تخلوا سبيلي»: فإن يسوع لا تخفى عليه عاقبة النقاش، فهو ذاهب الى الموت.

ومع ذلك فإنه يجيب (الآية ٦٩). تدلّ تحفّظاته السابقة على أنه لا يتوقّع أن يُقبَل جوابه ويُفهَم. لكنه يستحيل عليه أن يرفض لسلطات شعبه الدينية أن يشهد للرسالة التي عهد الله بها إليه. سيموت بسببها كسائر الأنبياء، ولكنه يكون قد قال مَن هو. لا يذكر لقب مسيح، لكثرة الالتباسات البشرية التي ينطوي عليها، بل يقول

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

إنه ابن الانسان وينبئ بجلوسه القريب عن يمين الله. تكرّر العبارة ما ورد في مر ١٤ / ٦٢ ومتى ٢٦ / ٦٤، لكن معناها يختلف الى حد بعيد. وعند مرقس ومتى، ينبئ يسوع للذين يحاكمونه الآن بأنهم سيرونه حين سيحاكمونهم أيضاً عند مجيئه في آخِر الأزمنة. في انجيل لوقا، لا ذكر للرؤيا ولا لآخِر الازمنة، بل ينبئ يسوع بسيادته الفصحية: فمنذ قيامته القريبة، سيجلس على العرش ملكاً عن يمين الآب (راجع ٢٠ / ٤٢ ورسل ٢ / ٣٤ و ٣٦ و ٥ / ٣١ و ٧ / ٥٣ — ٥٦).

دَهِش أعضاء المجلس واحتجُّوا قائلين: «أفأنت ابن الله إذاً؟» (الآية ٧٠). في هذا الإطار، يزخر هذا اللقب بتعالي الله الذي عبَّر عنه القول السابق. لكن لقب «ابن الله» لا يتّخذ هذا المعنى إلاَّ في نظر اليهود الذين يجعلون منه عادةً نعتاً مألوفاً يُطلق على كل مَلِك (٢ صم ٧ / ١٤ ومز ٢ / ٨). يفهم لوقا هذا اللفظ هنا في كمال معناه المسيحي، كما في ١ / ٣٥ و ٣ / ٢٢ و ٩ / ٣٥ و ١٠ / ٢٢.

قَبِل يسوع هذا اللقب، علماً منه بأنهم فهموا ما قصده. وهو يعلم بأنه سيموت بسببه. وفي الواقع، عدَّ أعضاء المجلس أن النقاش انتهى (الآية ٧١)، فذهبوا بيسوع الى بيلاطس (٢٣ / ١) وهو وحده يستطيع إصدار الحكم بالموت.

وهكذا سيموت يسوع لأنه أعلن رسالته وصرَّح بمشيحيته الفريدة الالهية. وسيكون موته توقيعاً على رسالته، فهي بذلك تشبه رسالة الأنبياء (راجع لو ١٣ / ٣٣ ورسل ٧ / ٥٢) والشهداء (راجع ما يوازيه في موت اسطفانس في رسل ٦ / ١٣ و ٧ / ٥٦ — ٦٠). جميع تلك الأمور يمتاز بها لوقا.

د) نصوص أخرى

هناك نصوص أخرى تلقي ضوءاً على سرّ يسوع في الآلام كما رواها لوقا. إليك بعضها:

* ٢٣ / ٢٧ — ٣١: شفقة يسوع البشرية على أورشليم التي تنبذه فتهلك، وعلى نساء تلك المدينة وبنيها (راجع ١٩ / ٤١ — ٤٤).

* ٢٣ / ٢٤: صلاته من أجل المسؤولين عن موته، والعذر على جهلهم (راجع رسل ٣ / ١٧ و ١٣ / ٢٧)، وفيه شيء من الاختلاف عمَّا ورد في ١٩ / ٤٢ و ٤٤).

* ٢٣ / ٣٧ و ٣٨ و ٤٢: جَمْع كل الالقاب العائدة الى مُلك يسوع. يخلو هذا المُلك من كل صيغة انتصارية بشرية، ويتَّسم بقدرته على الخلاص.

* ٢٣ / ٤٦ (= مز ٣١ / ٦): استنجاده البنوي بالآب، فإن يسوع يوجِّه إليه كلمته الأخيرة على هذه الأرض، كما وجَّه إليه كلمته الأولى (٢ / ٤٩).

٣. يوم الفصح

يُجمع الانجيليون الأربعة على ذِكر اكتشاف القبر فارغاً في صباح الفصح، في نهاية رواية الآلام. ثم يختلفون الى حد كبير بعد ذلك في أمر شهود الترائيات الفصحية ومكانها وتاريخها.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

لا يخفى على أن التراثيات جرت للرسل مدّة أربعين يوماً، في أورشليم (رسل ١ / ٣ — ٤)، حتى يوم الصعود (رسل ١ / ٦ — ١١). لكنه لخّص في انجيله ذلك الاختبار الفصحي كله في يوم واحد، بما فيه الصعود، وفي أورشليم أيضاً. وصف هذه الاختبار في ثلاثة مشاهد موحَّدة بمكانها وتاريخها والرسالة القائلة بضرورة آلام المسيح وقيامته، بناء على أقواله (الآيات ٦ — ٨ و ٤٤ وراجع ٩ / ٢٢) وعلى ما ورد في الكتب المقدسة (الآيات ٢٦ — ٢٧ و ٤٤ — ٤٦) في آن واحد.

حلقة القبر المفتوح (٢٤ / ١ — ١٢): فيه عدّة اشارات مسيحانية: يسمَّى يسوع «الربّ يسوع» (الآية ٣) و «الحيّ» (الآية ٥)، وهذا ما يوحي بلقب إلهي ورد في العهد القديم (يش ٣ / ١٠ وقض ٨ / ١٩ و ١ صم ١٣ / ٤٩). يُستند الى كلام يسوع كإلى نبوءة تشبه نبوءات الكتاب المقدس (الآيات ٦ — ٨).

رواية تلميذَي عِمَّاوس العجيبة (٢٤ / ١٣ — ٢٥): إنها طريقة تربوية في الإيمان بالمسيح القائم من الموت. وهي تحمل التلاميذ على تجاوز عثار الصليب بالعودة الى الكتب المقدسة، أي الى تفهّم شريعة الخلاص عن طريق المحنة، وتعلّم أعضاء الكنيسة أنهم يستطيعون في جميع الأوقات أن يلتقوا معلّمهم القائم من الموت، في الكتب المقدَّسة وفي كسر الخبز.

«الكرازة» في لو ٢٤ / ٤٤ — ٤٩

«الكرازة» (من كلمة يونانية تعني «المناداة») هي جوهر الايمان الذي يُنادى به غير المسيحيين (من يهود أو وثنيين) لإستمالة قلوبهم. وردت خاصةً في سفر أعمال الرسل، في خُطب بطرس الخمس (٢ / ١٤ — ٣٩ و ٣ / ١٣ — ٢٦ و ٤ / ١٠ — ١٢ و ٥ / ٣٠ — ٣٢ و ١٠ / ٣٦ — ٤٣) وفي خطبة بولس في انطاكية (رسل ١٣ / ١٧ — ٤١)، ورود بعض عناصرها هنا وهنا في رسائل بولس.

وفي أقوال القائم من الموت، مساء الفصح، جمع لوقا جوهر الرسالة المسيحية:

● آلام المسيح وقيامته التي أُنبئ بها في الاسفار المقدسة: لو ٢٤ / ٤٦ = رسل ٢ / ٢٣ — ٣٢ و ٣ / ١٥ — ١٦ و ٤ / ١٠ — ١١ و ٥ / ٣٠ — ٣١ و ١٠ / ٣٩ — ٤٠ و ١٣ / ٢٨ — ٣٠ وراجع ٢٦ / ٢٢ — ٢٣.

● التوبة لغفران الخطيئة: لو ٢٤ / ٤٧ آ = رسل ٢ / ٣٨ و ٣ / ٩ و ٥ / ٣١ و ١٠ / ٤٣ و ١٣ / ٣٨ — ٤١ وراجع ٢٦ / ١٨.

● الرسل «شهود»: لو ٢٤ / ٤٨ = رسل ١ / ٢٢ و ٢ / ٣٢ و ٣ / ١٥ و ٥ / ٣٢ و ١٠ / ٤١ و ١٣ / ٣١ وراجع ٢٢ / ١٥ و ٢٦ / ١٦.

● يوهب الروح للشهود للقيام بتلك المهمة: لو ٢٤ / ٤٩ ب = رسل ١ / ٤ — ٥ و ٢ / ٣٣.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الترائي الأخير للاثني عشر (٢٤ / ٣٦ — ٥٣): ينتهي كل من الأناجيل الأربعة بتراءٍ واحد للذين سيكونون شهوده وحَمَلَة رسالة الفصح: وهم الاثنا عشر بحسب متى ٢٨ / ١٦ — ٢٠ ومر ١٦ / ١٤ — ٢٠، والتلاميذ بحسب يو ٢٠ / ١٩ — ٢٣.

في انجيل لوقا، خُصَّ بهذا الترائي «الاثنا عشر ورفاقهم» (الآية ٣٣). تُقسم روايته الى ثلاثة مقاطع مرتبطة ارتباطاً منطقياً وثيقاً.

شكَّ الشهود أوّلاً، لكنهم اقتنعوا في آخر الأمر بحقيقة قيامة يسوع (الآيات ٣٦ — ٤٣). ولقد «عرفوا» أنه يسوع لأنهم رأوه وسمعوه واستطاعوا أن يلمسوه ورأوه يأكل. فليس القائم من الموت «روحاً»، بل جسده حقيقي. وهناك ما يفسِّر تشديد لوقا على حقيقة الجسد: فإنه يخاطب يونانيين يصعب على تفكيرهم الثنائي أن يسلِّم بقيامة الأجساد (رسل ١٧ / ٣٢ وراجع ١ قور ١٥ / ١٢ و ٢ طيم ٢ / ١٨). ولكن لا يحسن أن نظنّ أنّه يتصوَّر جسد القائم من الموت تصوُّراً مادياً. فهو يبيِّن وضعه الجديد الكامل، حين يستخدم، في هذه «الترائيات» مفردات التجلّيات الالهية في العهد القديم: «يقوم بينهم» (٢٤ / ٣٦)، و «يُري نفسه» (٢٤ / ٣٤ ورسل ١ / ٣ و ٩ / ١٧ و ١٣ / ٣١ و ٢٦ / ١٦)، و «يغيب عنهم» (٢٤ / ٣١ ورسل ١ / ٩)، ويرتفع الى السماء (٢٤ / ٥١ ورسل ١ / ٩ — ١١).

بعد الدلالة على الحقيقة الغامضة التي تتَّسم بها قيامة يسوع، استطاع التلاميذ أن يصلوا الى ادراك معنى الحدث وقبول رسالة الفصح (الآيات ٤٤ — ٤٩). بدأ يسوع بتزويدهم بمفتاح تلك الرسالة: كان لا بدّ (وهذا ما أراده الله) أن تتمّ الكتب المقدسة، كما سبق له أن قاله لهم في حياته على الارض. ونرى الآن أن حدث الفصح «فتح» لهم الكتب المقدسة (الآيتان ٤٤ — ٤٥، وفيهما الكثير من العبارات التي يمتاز بها لوقا). وبعد ذلك يأتي تعداد بنود «الكرازة»، أي جوهر الإيمان، وهو ما نجده في صفحات سفر أعمال الرسل في تبشير الرسل: آلام المسيح وقيامته المُنبأ بها في الكتب المقدسة، والتبشير بالتوبة لمغفرة الخطايا، ووظيفة «الشهود» المعيَّنة للرسل. وعليهم أن يحملوا الرسالة «الى جميع الأمم، ابتداءً من اورشليم» (الآية ٤٧)، كما سيظهر ذلك في سفر أعمال الرسل. ولا بدّ للرسل، للقيام بهذه المهمّة، أن ينال شهود يسوع الروح الذي سيُرسله إليهم: فليمكثوا في أورشليم ينتظرونه (الآية ٤٩ ب = رسل ١ / ٤).

وبذلك يبلغ الانجيل خاتمته (الآيات ٥٠ — ٥٣)، وهي حي خير، أي رؤيا الصعود التي يتجلّى فيها مجد القائم من الموت. إنها تتمّ القول النبوي المسيحي في جلوس المسيح في السماء «عن يمين الله»، على ما ورد في مز ١١٠ / ١، وقد سبق ليسوع أن استشهد به (لو ٢٠ / ٤٢ ٤٣ و ٢٢ / ٦٩) وسيطبّقه تبشير الرسل على القيامة (رسل ٢ / ٣٤ — ٣٦).

يجري الصعود، في سفر أعمال الرسل بعد الفصح بأربعين يوماً (رسل ١ / ٣). وهو يضع

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

حداً لتراثيات القائم من الموت، بعد أن تجاوز الرسل شكوكهم واستوعبوا الرسالة الفصحية استيعاباً تاماً. إنه تواري المسيح الذي يولي شهوده مسؤولية عمله على الأرض. فله إذاً وظيفة كنسية.

يقع الصعود، في الانجيل، يوم الفصح الذي يلخّص فيه الاختبار الفصحي كله تلخيصاً اصطناعياً (يوم... فيه أكثر من ٣٦ ساعة، لأن لوقا يدلّ فيه على وحدة الحدث التي لا تتجزّأ. فهو يهتمّ بهذا الحدث أكثر ممّا يهتمّ بالمدّة اللازمة لتفهّمه). يكشف الصعود هنا عن مجد القائم من الموت، عن سيادته الالهية. فله وظيفة «مسيحانية».

وبذلك تُنجز قيامة يسوع الكشف عن سرّه: فهو المسيح الذي تنبّأ به الأنبياء، ومُجِّد بعد موته، وهو الرب الالهي غير المنظور والحاضر للأبد لكنيسته، حيث يمنح الغفران لجميع البشر.

سرّ يسوع بحسب ما ورد في انجيل لوقا

لم نستطع أن نبحث هنا في جميع نصوص لوقا. فمن المستحيل أن تأتي بنتائج تامّة ونهائية عن الطريقة التي يعرض بها الانجيل الثالث سرّ يسوع. ومع ذلك، سنحاول أن نستعرض بعض النتائج بأسلوب تعليمي.

١. من الواضح أن لوقا يتّفق الى حد بعيد مع مرقس ومتى.

آ) على الطريقة التي يتصوَّر بها وحي الله. في الاناجيل الإزائية الثلاثة، يُعرِّف يسوع نفسه بأعماله وأقواله:

* بموقفه من شعب الله: سلطة كلامه ومعجزاته وغفرانه وتفسيره للشريعة
* بموقفه من ابليس (طرد الشياطين)
* بموقفه من الله: طاعته (الرسالة) وصلاته، والسلطات الالهية التي يتولّاها (تخطّي الشريعة وغفران الخطايا)
* تجلّي يسوع بكل معنى الكلمة هو قيامته

ب) على التعبير عن سر يسوع في ألقاب ابن الانسان والمسيح وابن الله.

ج) على النظرة العامة الى يسوع، الانسان المتّحد بالله اتّحاداً خفيًّا، والذي يموت «لأجلنا».

٢. اكتشفنا عرضاً لسرّ يسوع ينفرد به لوقا.

آ) أساليب مبتكرة:

* الرسائل الالهية الواردة في انجيل الطفولة (الملائكة والأنبياء)، وهي تعلن هذا السرّ.
* الاستناد الى الكتب المقدسة: في نظر لوقا، «يفتحها» القائم من الموت (لو ٢٤/ ٢٥ — ٢٧ و ٤٤ — ٤٥، وراجع الاستناد إليها في سفر أعمال الرسل). في الانجيل، يستخدمها لوقا بلجوئه الى المثالية. لم يبتكر هذه المثالية (راجع تكثير الارغفة، وهو يوازي المَنّ)، لكنه أكثر لجوءاً إليها من مرقس ومتى، بتصويره يسوع

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

بصورة ايليا وموسى وسليمان...، وبموازاته بين الافخارستيا وفصح اليهود...

ب) يُبرز لوقا، في عمل يسوع، ميزات خاصّة:

* أمام شعب الله، يشدّد على مجيئه من أجل الفقراء والخاطئين والنساء، وعلى مَنحه الغفران، وعلى أنه يَلْقى الرفض، وعلى أن الشعب ينقسم تجاهه.

* أمام ابليس، يشير الى انتصار يسوع (١٠ / ٣٨ و ١١ / ٢١ — ٢٢ و ١٣ / ١٠ — ١٧) والى مقاومة ابليس الأخيرة ليسوع في الآلام (٤ / ١٣ و ٢٢ / ٣ و ٥٣).

* أمام الله، يشدّد على صلاة يسوع وعلى طاعته («يجب...»)، ويشير الى عمل الروح والقدرة الالهية في يسوع (في ختام المعجزات، الى الله يُرفع التسبيح).

ج) ينسب لوقا الى يسوع عدّة القاب خاصّة به:

* النبي: برسالته (٤ / ١٨...) ومعجزاته (٧ / ١٦، وراجع ما يمثّله ايليا بالنسبة الى يسوع) وموته (١٣ / ٣٣ — بهذا المعنى ولا شك، يطبّق على يسوع القول النبوي المختص بالعبد المتألّم (اش ٥٣)

* المخلِّص (٢ / ١١)

* الرب (الملك الالهي): ٢ / ١١ و ١٨ مرّة في الروايات

د) هذه الأمور تُظهر أهمية عدّة ملامح يمتاز بها يسوع:

* تاسوته: في فقره وتجاربه وصلاته وطاعته، وفي ترحيبه بالصغار والهامشيين، وفي اخفاقه وفرحه، وفي ارتباطه بالبشرية كلها ودوره كآدم الجديد (٣ / ٢٣ — ٣٨)

* ارتباطه الفريد بالله الذي تُعلنه تجلّيات الطفولة ورسالة الفصح (يُرسل روح الله)، وألقاب المخلِّص والرب وابن الله.

* معنى موته، وهو الإتّضاع المشروط لمجده

* حصوله التدريجي على العرش المَلَكي: يسوع وريث عرش داود منذ الحبل به، وهو يولّى، في اعتماده، رسالة مَلَكية، وينصَّب في الفصح (٢٢ / ٦٩ والصعود: رسل ٢ / ٣٦). وسيتجلّى في مُلْكه عند عودته.

في نظر لوقا، يسوع هو «ابن الله» منذ أصل وجوده (١ / ٣٥ و ٢ / ٤٩). لكنه يقوم، ككل انسان، برسالته كمسيح مَلِك في الزمن.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الصلاة

إن الصلاه هي فعل الإيمان المثالي ، ولا معنى لها من دون الإيمان. ولا وجود للإيمان ، وللاعتراف بالله ، من دون السعي الى لقائه ، والى جعل انفسنا في نعمته التي تحاصرنا من كل جهة.

ولذلك تحتلّ الصلاة مكانة مرموقة في العهد القديم. فهناك المزامير ولا شك ، وهي تغذّي صلاتنا. ولكن هناك أيضاً صلوات قد تكون أثمن من المزامير ، وهي تلك الصلوات التي نجدها في أسفار التاريخ ، في سفر صموئيل مثلاً ، تلك الصلوات المتّسمة بالقوة والنضوج ، والدّالة على ايمان مطلق بإله العهد.

والصلاة تحتل أيضاً مكانة مرموقة في العهد الجديد ، ولا سيّما في الانجيل. فهي تذكر أن يسوع صلّى ، وتروي لنا بعض صلواته وتعليمَه في الصلاة ، علماً بأن هذا التعليم يصدر عن اختباره الشخصي : فإذا تحدّث يسوع عن الصلاة ، فعل ذلك انطلاقاً من صلاته. ولوقا هو أكثر الانجيليين تشديداً على الصلاة. سنقوم بقراءة انجيله من هذه الناحية ، متوقّفين أولاً عند صلاة يسوع ، ثم عند صلاة التلاميذ.

١. صلاة يسوع

من الغرور أن نتحدّث عن صلاة يسوع. فالصلاة ، حتى صلاتنا ، هي في جوهرها سرّية وخفيّة. ولا نستطيع أبداً أن نحكم في صلاة أخينا ولا في صلاتنا ، فإنها غير حركات أو أقوال تماماً : بما أنها الفعل الجوهري الذي يقوم عليه الإيمان ، فهي تتخطّى الصيغ التي تعبّر عنها. لا يمكن حصرها في الكلمات التي تُقال ، وكثيراً ما تكون الصلوات الخالية من أي كلام أفضل صلواتنا. وإن كانت كل صلاة فوق إدراكنا ، فكيف نتجاسر ونتكلّم على صلاة يسوع؟ كان وضع يسوع أمام الله يختلف عن وضع أي انسان آخر :

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

أُلفة لا مثيل لها نشعر بها من موقفه العام، من تصرُّفه، من طريقة عمله أمام الشريعة، وأمام ملكوت الله. من خلال مجرَّد كلمة «أبّا» التي فاه بها في بستان الزيتون، نكتشف عن تلك الأُلفة أعماقاً لا يُدرَك غورها: «أبّا» هي كلمة «بابا» التي يقولها الطفل لأبيه، كلمة لم يتجاسر أيُّ يهودي على توجيهها الى الله. وهل نحن نتجاسر على استعمالها في صلاتنا؟ فكيف نتجاسر، بما فينا من برودة وقلّة ايمان وأنانية، ونتكلّم على يسوع الذي ينفرد بوضعه أمام الله؟

ومع ذلك فلا بدّ من الكلام، كما فعل الإنجيليون أنفسهم. انّهم يقولون لنا ماذا علّمهم يسوع في هذا الأمر وكيف كان يصلّي، فإنهم سمعوه يخاطب الله. كثيراً ما توحي لنا اليوم كلمة صلاة بالمشاهدة الصامتة الخالية من الكلام. أمّا في زمن يسوع، فلم يكن للصلاة بصوت خافت من وجود. وهناك نصوص ربّانية تفيدنا بأنهم كانوا يقولون أحياناً للناس في الهيكل: «لا تبالغوا في رفع صوتكم عند الصلاة!». في العبرية، يُستعمل فعل «صرخ» للدلالة على «الصلاة». فلا شك أن التلاميذ سمعوا يسوع يصلّي بصوت مرتفع، ولقد كوّنوا فكرة عن صلاته في أهم أحداث حياته. أراد يسوع أن تُسمع صلاته، أراد أن يحدِّد صلاتنا انطلاقاً من صلاته، وهذا ما يشجّعنا على التحدُّث عنها باحترام لا حدّ له.

سنحاول الدخول في تلك الصلاة بالتطرُّق أولاً الى صلاة يسوع من الخارج: رأوه يصلّي، فماذا يقولون لنا في هذا الشأن؟ سيمكننا عندئذ أن نبحث في الصلوات التي وصلت إلينا والتي تُدخلنا في صميم فكره.

١. بالنظر الى يسوع وهو يصلّي

هناك بعض الحالات التي نرى فيها يسوع يصلّي، من دون أن نعرف مضمون صلاته. ولا بدّ أن نميِّز هنا بين الصلوات الجماعية التي كان الشعب اليهودي يتلوها، وصلوات يسوع الشخصية.

آ) صلاة شعب

كان يسوع يهودياً صالحاً فاندمج في صلاة شعبه. يروي لنا الانجيليون، ولاسيّما يوحنا، أن يسوع كان يصعد الى الهيكل بمناسبة الأعياد. وكان الهيكل في نظره «بيت صلاة»، كما أعلن ذلك بطرده الباعة منه. صلّى فيه كسائر العَلمانيين، غائصاً في صلاة شعبه.

ينفرد لوقا برواية تلك الحلقة، حيث كان يسوع في الثانية عشرة من عمره فصعد الى أورشليم مع والديه. وفي ختام العيد، بحث عنه والداه ولم يجداه إلاّ بعد ثلاثة أيام، فقالت له أمّه: «يا بنيّ، لِمَ صنعتَ بنا ذلك؟...» أجاب: «... ألم تعلما أنه يجب عليَّ أن أكون عند أبي؟». فالكلمة الأولى التي رواها الانجيليون عن يسوع هي قوله لوالديه إن أباه هو في السماء، كما أن كلمته الأخيرة في انجيل لوقا هي: «يا أبتِ، في يديك أجعل روحي». فموقف يسوع هو دائماً موقف ابن. لقد دخل من كل قلبه في ليترجية شعبه، في عيد الفصح. وإذا صحّ أنه لم يتبع والديه، فقد

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

يعود الأمر أولاً الى ذلك السرور بالصلاة في بيت أبيه.

نرى أيضاً يسوع يدخل المجمع يومَ السبت: فيقال لنا إنه وعظ أو أجرى معجزات، لا إنه صلّى. لكن اليهود كانوا يذهبون الى المجمع للصلاة. وكان هناك قراءة الكتب المقدسة والوعظ وتلاوة المزامير والبركات. دخل يسوع في صلاة شعبه.

ونجد في الانجيل بعض الدلائل على صلاته التي أخذها عن التقوى اليهودية. يستهلّ تناول الطعام بالبركة: «تباركتَ يا أبانا، أنت الذي ترزقنا هذا الخبز...». هكذا صنع عند تكثير الارغفة، وفي العشاء الأخير، وفي عمّاوس. من الواضح أن يسوع اعتاد تلك الصلوات التي هي جزء من التقوى اليهودية المألوفة. ويومَ سألوه ما هي أعظم الوصايا، تلا صلاة «إسمَع يا إسرائيل»، وهي الصلاة اليهودية التي كانوا يتلونها ثلاث مرّات في اليوم: «إسمَع يا إسرائيل، ان الرب الإله هو الرب الأوحد. فأحبب الرب الهك من كل قلبك وكل نفسك وكل قواك...» (مر ١٢ / ٢٩ / ٣٠).

وهناك دليل أخير على تأثير المزامير في أقوال يسوع. نجد ثلاثة شواهد صريحة ولا أقل من ثمانية شواهد ضمنية. فنشعر بأن يسوع كان يعرف المزامير عن ظهر قلبه وبأنها كوّنت لغته. ستكون صلاته الأخيرة مزموراً: «إلهي، لماذا تركتني؟» (مز٢٢) في انجيل متى ومرقس، أو «يا أبتِ، بين يديك أجعل روحي» (مز ٣١) في انجيل لوقا.

ان نظرنا الى صلاة يسوع من الخارج، لاحظنا أنه يردِّد الصيَغ التقليدية التي ترتديها صلاة اليهودي الصالح في زمنه. لكن الانجيل يحدّثنا أيضاً عن صلاة يسوع الشخصية.

ب) صلاة يسوع الشخصية

نلاحظ أن يسوع يخصّص في حياته وقتاً كبيراً للصلاة.

يذكر **مرقس** هذا الأمر في مناسبتَين. في مساء يوم كفرحانوم، حيث أجرى يسوع عدّة معجزات، انصرف الناس مسرورين الى النوم. لكن يسوع قام وخرج. فذهب التلاميذ يبحثون عنه فوجدوه يصلّي، في خارج البيت (مر ١ / ٣٥). وبعد تكثير الأرغفة، صرف الجمع، وصرف أيضاً تلاميذه لئلاّ يتأثّروا بالحماسة البشرية، وصعد هو وحده الى الجبل ليصلّي (٦ / ٤٥). لا يُذكر أي شيء عن مضمون هذه الصلوات. ولكن لا بأس أن نتصوّر ما عسى أن يكون هذا المضمون.

تقع الصلاة الأولى في بدء رسالته: كان ذلك اليوم أوّل يوم أجرى فيه يسوع بعض المعجزات، وكان عليه أن ينطلق من ذلك المكان ليبشّر في أماكن أخرى. يجوز لنا أن نتصوّر أنها كانت صلاة شكر ورجاء والتزام بالرسالة التي كلّفه بها الآب. وتقع الصلاة الثانية في نقطة تحوُّل خدمته الرسولية: عند تكثير الارغفة ستنحلّ عقدة الالتباس، فللمرة الأخيرة نشاهد تحمُّساً شعبياً، اذ إنهم سيأتون ويبحثون عنه ليطلبوا منه أرغفة لا يريد أن يعطيهم ايّاها. لا يصعب علينا أن نتصوّر

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

كيف صلّى يسوع ليُقبَل الانجيل في صفائه وتشدُّده.

أمّا **لوقا** فقد ذكر صلاة يسوع أكثر بكثير ممّا فعل مرقس. ذكر ما ورد عند مرقس، لكنه جعله في إطار يختلف بعض الشيء ويُضفي عليه معنى جديداً الى حد ما. وينفرد لوقا خاصةً بذكر أربع صلوات أخرى ليسوع.

اعتماد يسوع (لو ٣ / ٢١): جاء يسوع ليعتمد عن يد يوحنا المعمدان: هذا أمر مشترك بين الأناجيل الأربعة، لا بل حالة من الحالات النادرة التي يتّفق فيها يوحنا مع الثلاثة الآخَرين. ولكي نعرف ما هو الجديد الذي أتى به لوقا، نبدأ بقراءة ما ورد في انجيل مرقس: «وفي تلك الأيّام، جاء يسوع من ناصرة الجليل، واعتمد عن يد يوحنا في الاردن. وبينما هو خارج من الماء، رأى السموات تنشقّ، والروح ينزل عليه كأنه حمامة، وإذا صوت من السماء يقول: «أنت ابني الحبيب، عنك رضيت» (مر ١ / ٩ — ١١). يبدو أن مرقس يكتفي برواية ما جرى في الاعتماد. أمّا لوقا فإنه يأتي بكثير من الفوارق الصغيرة: «ولـمّا اعتمد الشعب كله واعتمد يسوع أيضاً وكان يصلي، انفتحت السماء ونزل الروح القدس عليه في صورة جسم كأنه حمامة، وأتى صوت من السماء يقول: «أنت ابني الحبيب، عنكَ رضيت» (لو ٣ / ٢١ — ٢٢). فإن اعتماد يسوع هو ذروة اعتماد الشعب كله وخاتمته. دخل يسوع في سير شعبه العائد الى الله بقبوله معمودية التوبة. لا أنه يحتاج هو نفسه الى توبة، لكنه دخل في مسيرة شعبه وأنجزها. به تـمَّ الاستعداد. ولذلك، لا يهتمّ لوقا بالاعتماد، بل بما يليه: «اعتمد يسوع أيضاً وكان يصلّي». ينفرد لوقا بذكر صلاة يسوع هذه، وفي إطار هذه الصلاة نال يسوع موهبة الروح وسمع صوت الآب: فالصلاة هي الملتقى. نال يسوع الروح: يعني هذا، في الفكر اليهودي، أنه نُصِّب نبيًّا، واعتُرِف به ابناً ومشيحاً، فإن الله يقول للمشيح دائماً: «أنت ابني»، وفي الصلاة يُعهد إليه بالرسالة. لا بدّ من الانتباه الى هذا الربط بين الصلاة والرسالة، لأننا سنجده في صفحات انجيل لوقا كله.

الصلاة في التبشير (لو ٥ / ١٦): رأينا في انجيل مرقس أن يسوع قضى الليل في الصلاة بعد إجراء المعجزات في كفرناحوم (مر ١ / ٣٥). ورد في انجيل لوقا ما هو شديد الشبه بذلك، ولكنه يأتي بعده بقليل: يذكر لوقا، بعد يوم كفرحانوم، إبراء الأبرص، ثم يختم بقوله: «وكان خبره يتّسع انتشاراً، فتتوافد عليه جموع كثيرة لتسمعه وتُشفى من أمراضها، ولكنه كان يعتزل في البراري فيصلّي» (٥ / ١٥ — ١٦). تدلّ هنا صيغة الفعل على الاستمرار، ذلك بأن رسالة يسوع وتبشيره يتغذّيان بصلاته ويتمّان في أجواء صلاة.

الصلاة عند اختيار الرسل (لو ٦ / ١٢): يروي لنا الإزائيون الثلاثة كيف اتّخذ يسوع بعض التلاميذ، لكن لوقا وحده ذكر صلاة يسوع: «وفي تلك الأيّام، ذهب الى الجليل ليصلّي، فأحيا الليل كلّه في الصلاة لله. ولـمّا طلع الصباح، دعا تلاميذه، فاختار منهم اثني عشر

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

سمَّاهم رسلاً...» (٦ / ١٢ — ١٣). وهكذا، فإن دعوة الرسل، في انجيل لوقا، تصدر عن صلاة يسوع.

الصلاة قبل إرغام التلاميذ على الاختيار (لو ٩ / ١٨): كلّمنا مرقس على صلاة يسوع هذه قبل تكثير الارغفة (مر ٦ / ٤٦). وذكرها لوقا أيضاً بالمناسبة نفسها، ولكن، لأنه حذف منها بعض العناصر التي أوردها مرقس، تأتي هذه الصلاة مباشرةً قبل شهادة بطرس في قيصرية: «واتّفق أنه كان يصلّي في عزلة والتلاميذ معه، فسألهم: «من أنا في قول الجموع؟... ومن أنا في قولكم أنتم؟» (٩ / ١٨ — ٢١). فعند الانتهاء من الصلاة، أرغم يسوع تلاميذه على إعلان موقفهم. نلاحظ هنا مرَّة أخرى أن صلاة يسوع تتحكّم في عمله.

التجلّي في أثناء الصلاة (لو ٩ / ٢٨ — ٢٩): نتصوَّر، في متى ومرقس، أن يسوع صعد الجبل ليتجلّى (متى ١٧ / ١ ومر ٩ / ٢). أمَّا في لوقا، فإنه يصعد الجبل ليصلّي: «مضى يسوع ببطرس ويوحنا ويعقوب وصعد الجبل ليصلّي. وبينما هو يصلّي، تبدَّل منظر وجهه». فالتجلّي الالهي تمَّ، كما في الاعتماد، تلبيةً لصلاة يسوع. وفي متى ومرقس، يبدو التجلّي أمراً خارقاً يقتصر على يسوع. أمَّا لوقا، أفلا يريد أن يقول لنا إن كل مسيحي يستطيع، في لقاء الله هذا عن طريق الصلاة، أن يختبر شيئاً منه؟

الدخول في علاقة بنويَّة مع يسوع (لو ١١ / ١): نعود الى ذلك المقطع الذي ينقل لنا فيه لوقا تعليم يسوع في الصلاة (١١ / ١ — ١٣)، ولاسيّما الأبانا. متى أيضاً نقله لنا، ولكن ما أشدّ الفرق بينهما! في انجيل متى، يعرض لنا يسوع شريعته الجديدة في «العظة على الجبل». وفي هذا «التعليم المسيحي» الكبير، يُخصَّص فصل للصلاة، وتبدو الأبانا هنا مثلاً على الصلاة. أمَّا في لوقا، فالمناسبة تختلف كل الاختلاف. فلقد كتب: «كان يسوع يصلّي في بعض الأماكن. فلمَّا فرغ قال له أحد تلاميذه: «يا رب، علِّمنا أن نصلّي كما علَّم يوحنا تلاميذه». فقال لهم: «إذا صلّيتم فقولوا: «أبانا...». ليست الأبانا هنا صلاة يتعلَّمها الانسان. أُخذ التلاميذ بتلك العلاقة التي يشعرون بأنها قائمة بين يسوع والله، ورغبوا أن يدخلوا هم أيضاً في مثل تلك العلاقة. أُخذوا حتى إنهم لم يجرؤوا على مقاطعته («فلمَّا فرغ...»). ان الصلاة التي علَّمهم يسوع إيَّاها صادرة عن صلاته هو. صلاته هي أساس صلاتنا وأصلها.

ما زلنا حتى الآن خارجَ صلاة يسوع. نظرنا إليه من بعيد يصلّي، فأُعجبنا كما أعجب التلاميذ، وشعرنا منذ الآن ببعض الشيء. لاحظنا تشديد لوقا على صلاة يسوع واهتمامه بربطها بالرسالة: ذكرها في الاعتماد، اي في منطلَق الرسالة، وفي التبشير ولاسيّما في علاقات يسوع مع التلاميذ: صلَّى قبل اختيار الاثني عشر، وصلَّى قبل حَملهم على اعلان موقفهم («من أنا في قولكم؟»)، وصلَّى قبل وَحي التجلّي. وأخيراً، فإن صلاة يسوع هذه في الساعات

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الحاسمة من حياته تحدَّد بكونها ينبوع صلاتنا : يستطيع يسوع أن يعلِّمنا الأبانا ، لأنه يصلّي .

نظرنا من بعيد الى يسوع يصلي . أمَّا الآن ، فنستطيع أن نقترب لنسمع الصلوات التي لفظها .

٢ . صلوات يسوع

روى لوقا خمس صلوات ليسوع ، ثلاث انفرد بها ، لكنه أتى ، حتى في الاثنتين الباقيتين ، بكثير من الفوارق الصغيرة .

التسبيح على تحقيق رسالته (لو ١٠ / ٢١) : يروي متى أيضاً صرخة الفرح التي أطلقها يسوع لأن أسرار الله كُشفت للصغار (١١ / ٢٥) ، لكن الإطار الذي في انجيل لوقا يختلف كل الاختلاف .

جعل متى هذه الصلاة : «أَحمدُكَ يا أبتِ على أنَّك اخْفَيت هذه الأشياء على حكماء الارض...» في إطار عدم ايمان . فهناك تفاوت بين الصغار والمساكين الذين آمنوا والحكماء في اسرائيل الذين لم يؤمنوا . ويسوع يحمد على ذلك .

وروى لوقا هذه الصلاة بعد عودة التلاميذ الاثنين والسبعين من الرسالة . كانوا يصرخون من الفرح ويقولون : «حتى الشياطين تخضع لنا باسمك» . فقال لهم يسوع : «لا تفرحوا بأن الأرواح تخضع لكم ، بل افرحوا بأن اسماءكم مكتوبة في السموات . افرحوا بالنعمة الموهوبة لكم ، لا باستحقاقاتكم الشخصية . ادخل لوقا هنا حَمْد يسوع ، لكنه رواه بفوارق صغيرة انفرد بها . «في تلك الساعة ، تهلَّل بدافع من الروح القدس» : ان الروح هو الذي يحمل صلاة يسوع . ذكَّرنا لوقا ، عند الاعتماد ، بأن يسوع كان قد نال الروح وأنه نبيّ ، وهذا ما يوافق تقليد الكتاب المقدس ، حيث الروح هو الذي يُنعش كلام النبي . أمَّا هنا ، فإن الروح يُنعش الصلاة ، ومن الراجح أنّنا هنا أمام تفكير في المواهب التي عرفتها الكنيسة ، فإن الروح هو الذي يولّد الصلاة ، وهو حالٌّ كاملاً في يسوع . تُذكِّرنا هذه الكلمات بالتفكير اللاهوتي الذي نجده في رسائل بولس : الروح ينادي فينا : «أبّا ، يا أبَتِ» (روم ٨ / ١٥ و ٢٦ وغل ٤ / ٦) .

يصرخ يسوع بدافع من الروح : «أَحمدك ، يا أبتِ ، ربَّ السماء والارض ، على أنَّك أخفيت هذه الأشياء على الحكماء والأذكياء ، وكشفتَها للصغار . نعم ، يا أبتِ ، هذا كان رضاك» . ليس ما يلي صلاة ، بل كلام وحي . وهذه الصلاة هي حَمْد ، فإن يسوع يرى مأثرة الله . وهي صلاة بنويَّة ، لأنها تُرفع الى الآب . وهناك شبه اصطدام بين الأُلفة والثقة اللتَين توحي بهما كلمة «الآب» والجلال المجيد الذي يتجلَّى في عبارة «ربّ السماء والأرض» . ورد أيضاً في الأبانا : فـ «الآب» القريب الى أقصى حد هو أيضاً «الذي في السموات» . ما أخفى الله وما أقربه !

يُحمد الله لأنه كشف ذلك للصغار وأخفاه على الحكماء . نحن أمام تضادّ ساميّ الصيغة ، لا يجوز لنا أن نفهمه حرفياً . ان يسوع يشيد بالله ، لأنه يكشف نفسه للصغار ، وإن أبى الكبار أن يؤمنوا . لم يُخف نفسه عنهم ، بل يسمح فقط ألاَّ يؤمنوا . كان عليهم أن يقوموا بمسعىً رفضوه .

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

هذه الصلاة هي تفكير ليسوع في خدمته الرسولية : لاحظَ أن الصغار يأتون ، فنسب ذلك الى الآب.

الصلاة لأجل بطرس المجرَّب (لو ٢٢ / ٣١ — ٣٢) : في أثناء العشاء الأخير ، أنبأ يسوع بطرس بإنكاره : «سمعان ، سمعان ، هوذا الشيطان قد طلبكم ليغربلكم كما تُغربَل الحنطة. ولكني دعوت لك ألاَّ تفقد ايمانك. وأنت ثبِّت إخوانك متى رَجعتَ». صلَّى يسوع لأجل سمعان ، في إطار تهجُّمٍ للشيطان وتجربةٍ تشكلُّها آلام يسوع. وكان يسوع متأكِّداً من أن طلبه سيُستجاب.

الصلاة في بستان الزيتون (لو ٢٢ / ٣٩ — ٤٦) : أطول صلاة ليسوع وردت في الانجيل هي صلاته في بستان الزيتون. انّها تستمدّ كل معناها من الإطار الذي ارتفعت فيه. في العشاء الأخير ، قرَّب يسوع كأس دمه : «هذا هو دمي ، دم العهد الجديد». قرَّب يسوع هذه الكأس ، ولكن ، بعد ساعة من الزمن ، بدا أنه أعاد هذا القربان الى البحث : «يا أبتِ ، ان شئتَ فاصرِف عنّي هذه الكأس...». تساءل هل يقبل أم يرفض ، فقبل في آخر الأمر : «ولكن لا مشيئتي ، بل مشيئتك». هاتان الجملتان تلخِّصان نقاشاً باطنياً دام ساعتين أو ثلاث. إنها لَصلاة أليمة عبّر بها يسوع عن تفتُّت قلبه أمام الصليب وتعرُّضه للرفض. في انجيل متى ومرقس ، يعود يسوع مرَّتين أو ثلاث مرَّات الى التلاميذ ملتمساً تشجيع حضورهم : «أهكذا لم تقووا على السهر معي ساعة واحدة!» وحذَّرهم قائلاً : «الجسد ضعيف». أمَّا لوقا فقد صاغ روايته صياغة مختلفة.

فالنص بكامله مُقفل عليه في تصدير (جملة ترد في البداية وتكرَّر في النهاية) : «لمَّا وصل الى ذلك المكان ، قال لهم : صلُّوا لئلاَّ تقعوا في التجربة». وستكون هذه كلمته الأخيرة أيضاً : «قوموا فصلُّوا لئلاَّ تقعوا في التجربة». في انجيل متى ومرقس ، ترد هذه الجملة في منتصف الرواية فليست ذروتها. أمَّا لوقا فإنه ركَّز الحلقة على العبرة للمسيحي المجرَّب : فعليه ان يصلِّي لئلاَّ يقع. وفي إنجيله أيضاً ، كفي انجيل متى ومرقس ، تردَّد يسوع مدة ساعة أو ساعتين بين الرفض والقبول. لم يرفض ، لكن قبوله كان بطيئاً وأليماً. اذا كان هناك أناس لم يعرفوا التجربة ، فلتكن لهم تجربة يسوع حجر عثرة! أمَّا نحن فليست التجربة غريبة عنَّا ، ونتقوَّى بعلمنا أن يسوع ربنا عرف التجربة وانتصر عليها.

في هذه الرواية ينفرد لوقا بعنصرين :

«تراءى له ملاك من السماء يشدِّد عزيمته». في العهد القديم ، اذا أراد الله أن يقول شيئاً ، يأتي هو نفسه ، فيتراءى. أمَّا هنا فإنه لا يظهر ، تاركاً يسوع في ضعفه البشري ، كما ترك مريم ، عندما بشَّرها الملاك ، في البُعد الايماني ، في بعد المعرفة البشرية العادية.

ومن جهة أخرى ، لا شك ان تدخّل هذا الملاك يذكّرنا بقصّة ايليا (١ مل ١٩ / ٧). عرف ايليا تجربة اليأس التي تشبه تجربة يسوع ، فجاء ملاك من عند الرب يشدّد عزيمته (في الحالتين يُستعمل الفعل نفسه) ، وأتاه بالخبز والماء ليستطيع

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

أن يسير، بفضل هذا الطعام، الى جبل الرب، الى حوريب. من الراجح ان ملاك بستان الزيتون يعبِّر عن موضوع المؤمن الذي يلقى المساعدة في التجربة، من دون أن يُري الله نفسه، يلقى المساعدة بالوساطة (بواسطة ملاك) في الظلام. فلا وجود هنا للخارقة ولا للترائي الالهي، بل يُترك يسوع، كما تُركت مريم حين بشَّرها الملاك، في الوضع البشري.

وهناك عنصر آخر ينفرد به لوقا: «وأخذه الجهد، فأمعن في الصلاة، وصار عرقه كقطرات دم متخثِّر تتساقط على الارض». ان الرواية في لوقا أبسط ممّا هي في متى ومرقس: كلّ شيء يُركَّز على تجربة يسوع، على مأساة يسوع الذي تمزَّق قلبه وعرق دماً وشعر بالوحشة في الليل.

يُستخلص قبل كل شيء من هذا النص أن صلاة يسوع كانت شاقّة: فلا بدّ من الصراخ في الليل، ولا بدّ من الإلحاح، ولا بدّ من العزم.

الصلاة على الصليب: تختلف صلاة يسوع الأخيرة وهو على الصليب في انجيل لوقا عمَّا هي في انجيل متى ومرقس.

«إلهي إلهي، لماذا تركتني...؟» (متى ٢٧ / ٤٦ ومر ١٥ / ٣٤). كثيراً ما فُسِّرت هذه الصلاة عند متى ومرقس بأنها صرخة يأس: لكي يخلّصنا يسوع من الهلاك، كان لا بد له أن يمرّ بجهنم وأن يعرف مرارة الهلاك! هذا تفسير فظيع وفكرة خاطئة عن الابن وعن الآب. كيف لنا أن نتصوَّر ذلك الآب مسروراً بتعذيب ابنه؟ وفي بستان الزيتون، في تلك الساعة التي كانت أشدّ ألماً معنوياً من الصليب، خاطب يسوع أباه بقوله: «أبّا»، بابا: أنك قدير على كل شيء، فافعل ما تشاء.

وقعوا في أخطاء جسيمة لجهلهم العهد القديم. «إلهي، إلهي، لماذا...» هي الآية الأولى من المزمور ٢٢. لا يجوز الوقوف عند هذه الآية، فهناك المزمور كله. حين صرخ يسوع: «إلهي إلهي، لماذا تركتني؟»، أشار الى كل المزمور الذي تلا آيته الأولى. والحال أن هذا المزمور هو المزمور الوحيد الذي ينظر بعين الاعتبار خلاص الوثنيين وخلاص الأموات: «جميع عشائر الأمم أمامه تسجد... له تحيا نفسي». لقد اختار يسوع، وهو على الصليب، تلاوة النص الوحيد الذي يحمل رجاء شمولياً وأخيرياً في صلاة توسُّل.

في ساعة الموت، لا يُلقي الانسان خطبة. نعرف من قوانين علم النفس البشري — ويسوع هو انسان — أن ما يأتي عادةً على اللسان في تلك الساعة هو الصلاة التي استحوذت على كل ما سبق. فإذا تمتم يسوع، وهو على الصليب: «إلهي إلهي، لماذا تركتني؟»، أفلا يكون هذا المزمور مزمور الصمت أمام بيلاطس، ومزمور الصمت تحت ضربات الجَلْد، ومزمور الصمت حين مزَّقت المسامير يديه؟ في اللحظة التي اشتعلت فيها شرارة الوعي الأخيرة، عبَّر يسوع عمَّا استحوذ على فكره، عمَّا صلاَّه في جميع أيام حياته.

لا شك أن لوقا، الذي وجّه كتابه الى اليونانيين الذين لم يكونوا متضلِّعين من العهد القديم، خاف أن يكون لهم مطلع المزمور ٢٢

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

حجر عثرة. فمن الراجح أنه استبدل به آية أخرى مأخوذة هي أيضاً من مزمور اتّكال، كالمزمور ٢٧، لكنه أقرب الى فهم قرّائه: «في يديك أجعل روحي» (لو ٢٣ / ٤٦ = مز ٣١ / ٦). وأضاف: «يا أبتِ». ففي اللحظة التي انتقل فيها يسوع الى الموت، استسلم كلياً لأبيه.

صلاة الغفران (لو ٢٣ / ٣٤): يذكر لوقا وحده أن يسوع صلّى لأجل جلاّديه: «يا أبتِ أغفر لهم، لأنهم لا يعلمون ما يفعلون». انها صلاة غفران، صلاة توافق تعليم يسوع في الغفران للأعداء، في المحبة.

من خلال تلك الصلوات الخمس، نكتشف بعض ميزات صلاة يسوع. انّها صلاة بنويّة: جميع الصلوات تبتدئ بـ «يا أبتِ» (إلاّ في انجيل متى ومرقس: «إلهي، إلهي، لماذا...»)، وهذا ما يكشف لنا شيئاً من ألفة عميقة جداً. وتلك الصلاة تتّصل كل مرة بالرسالة: «احمدك على أنك كشفت ذلك للصغار». صلاة لثلاثٍ يقع سمعان والتلاميذ في التجربة. صلاة خضوع شاقّ واستسلام تامّ بين يدي الآب.

تلك النصوص قليلة، لكن من الراجح أنها ترقى الى يسوع نفسه، الى يسوع الذي كان يصلّي بصوت مرتفع. وهي توافق بوجه عجيب كل ما قاله يسوع في الآب وفي نفسه. ولقد جعل يسوع من صلاته الخاصة ينبوع صلاة التلاميذ وصلاتنا.

٢. صلاة التلاميذ

متى (٦ / ٩ — ١٣)	لوقا (١١ / ١ — ٤)
أبانا الذي في السماوات	أيها الآب،
ليقدَّس اسمك	ليقدَّس اسمك
ليأت ملكوتك	ليأت ملكوتك
ليكن ما تشاء	
في الارض كما في السماء	
ارزقنا اليوم خبز يومنا	
وأعفنا مِمَّا علينا	أرزقنا خبزنا كفاف يومنا
فقد أعفينا نحن أيضاً من لنا عليه	وأعفنا من خطايانا
ولا تعرّضنا للتجربة	فإننا نعفي أيضاً كل من لنا عليه
بل نجّنا من الشرير.	ولا تعرّضنا للتجربة.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

تذكر لنا جميع الاناجيل التعاليم التي سلَّمها يسوع لتلاميذه في الصلاة، حتى مرقس وهو لم يرو لنا إلاَّ القليل من الخُطَب (مر ١٢). سنتوقَّف أولاً عند الأبانا، وقد وردت عند لوقا ومتى: انها نصّ أساسي، وان كان النص عَسيراً في مفرداته. سنقرأ بعد ذلك ما علّمه يسوع في موقفنا من الصلاة، على ما ورد في انجيل لوقا: الثبات والعزيمة والثقة التي لا تُزعزع.

١. الأبانا

روى لنا متى (٦/ ٩ — ١٥) ولوقا (١١/ ٢ — ٤) صيغتين للأبانا تختلفان بعض الاختلاف. ليست ترجمة الأبانا أمراً سهلاً، لأن عباراتها وجيزة ومقتبسة من العهد القديم.

لماذا صيغتان للأبانا؟: من الراجح أن هذا الأمر يعود الى الاستعمال الطقسي في كنائس مختلفة. كان المسيحيون الأوَّلون مقتنعين بأن الأمانة لفكر يسوع هي أهم من ترداد كلماته ترداداً مادياً. وهذا شأن العبارات الواردة في رواية العشاء السرّي.

ليس أمراً سهلاً أن نعرف أية صيغة هي الأقدم. ان أخذنا بعين الاعتبار ما تتَّصف به الليترجية عادةً، فضَّلنا الصيغة الأقصر: فإن الليترجية كثيراً ما تضيف وقليلاً ما تحذف! لكن صيغة الأبانا عند متى هي أفضل إيقاعاً، وعباراتها أكثر صيغة ساميَّة، فلا عجب أن تُقدم كنيسة يونانية، كالتي عاش فيها لوقا، على تقصيرها وتكييفها.

ما هي وظيفة الأبانا؟: ليست الأبانا صيغة صلاة أولاً، فإن يسوع لم يضع نصاً للتلاوة، بل قدَّم لتلاميذه نموذجاً لكل صلاة، فإن هذا النموذج يمكّننا أن نحدِّد ما في الصلاة من اتِّجاهات ونيَّات مختلفة، وأن نرتّبها بحسب تسلسل تدريجي. فإننا نطلب مجد الله قبل خبز يومنا.

كثيراً ما يُقال: الطلبات الثلاثة الأولى موجَّهة نحو الله، والثلاثة الأخرى نحو الانسان. هذا غير صحيح. فإن الطلبات الأولى تسأل، في الوقت نفسه، مجد الله وخلاص البشر. «ليأت ملكوتك»: يُطلب أن يُعترف بالله في قدرته ومجده، لكن ملكوت الله يتضمَّن خلاصنا، وان مجده هو في خلاصنا. كتب القديس إيريناوس هذا الكلام الرائع: «مجد الله في أن يحيا الانسان!». لا يجوز التمييز بين «العمودي» (اهتمام الله) و «الافقي» (مصلحة الانسان): كيف نهتمّ بالله ولا نهتمّ بأبنائه وبعمل خلاصه؟ كيف نهتمّ بإخوتنا دون أن نلقاهم كأبناء لله؟ من طلب ملكوت الله، طلب أن يكشف عن نفسه في مجده، وهذا المجد هو أن يخلِّصنا.

أبانا الذي في السموات: تضادّ لا مثيل له: فكلمة «أبانا» توحي بالقرب والثقة والحنان، وبـ «أبًّا» (بابا) الذي علَّمنا يسوع إيَّاه، في حين أن عبارة «في السموات» تعبِّر عن التعالي وعن السرّ الذي لا يوصف: فإن الله فوق متناوَل يدنا.

موضوع الطلبات الثلاثة الأولى هو هو. ورد الطلب الاول والثالث في صيغة المجهول، وهي طريقة في لغة يسوع يدعو فيها الله الى العمل. لا

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

يصلّي الانسان لكي يرضى الناس بالطاعة، بل لكي يحقّق الله مشيئته. وما من أحد يستطيع أن يقوم بما يُطلب إليه إلاَّ الله.

ليقدَّس اسمُك: في لغة الكتاب المقدس، لا فرق بين اسم الله والله نفسه، أو بالأحرى بين اسم الله وشخصه بصفته محور العبادة. العبارة مأخوذة من سفر حزقيال، وهو يكرِّرها عدَّة مرَّات (حز ٢٠ / ٤١ و ٣٦ / ٢٣...). حين نقول إن الله يقدّس اسمه، نعني أنه يُظهر مجده بتطهير شعبه من خطاياه وبتخليصه. فنسأله إذاً أن يعمل، أن يكشف عن نفسه كما هو، أي مخلّص. وهو وحده قادر على ذلك.

ليأت ملكوتك: هذه العبارة قريبة الى اذهاننا، فإنها كثيراً ما وردت في الانجيل. هذا الملكوت يحقَّق عملياً بخلاص البشر، وقد سبق لأشعيا (٥٢ / ٧) أو للمزامير (٩٦ / ١٠ و ٩٧ / ١ و ٩٨ / ٦) ان عبَّرت عنه.

ليكن ما تشاء: يذكِّرنا هذا الطلب بصلاة يسوع في بستان الزيتون، وهي صلاة حقيقية وأصلية تعبِّر عن قبول مشيئة الله. لكن طلب الأبانا هو طلب أوسع. ففي نظر أشعيا الثاني مثلاً، مشيئة الله هي خلاصنا. فما هو مطلوب هنا هو أن يحقّق الله تدبيره الخلاصي، وهو أن يخلِّصنا.

في الارض كما في السماء: تعني هذه العبارة أكثر بكثير من «في كل مكان». فهناك مقارنة بين «مكان» — يسمَّى «السماء» — حيث نجد مشيئة الله هذه وملكوته هذا، ومكان لا وجود فيه لها حتى الآن: الأرض، وهي مكان الحريَّة الممتحَنَة والتجربة. فنسأل إذاً أن يتمّ كل ذلك «في الأرض على مثال ما يجري في السماء».

وعليه فإن تلك الطلبات الثلاثة الأولى تطالب إذاً في آن واحد بمجد الله وخلاص البشر. فنحن هنا أمام قُطبَي حياة يسوع وحياتنا كلها وصلاة يسوع وصلاتنا كلها وعمل يسوع وعملنا كله. لا يمكن الفصل بين الأفقي والعمودي: فلا مجد لله إلاَّ في خلاص البشر، ولا خلاص للبشر إلاَّ في مجد الله.

في الطلبات الثلاثة الأولى، يعبَّر عن الاختبار البشري. لا تخفى على يسوع همومنا ومضايقنا، بل وآمالنا أيضاً، علماً بأن سيرنا نحو إحلال ملكوت الله محفوف بها. ولذلك، فهو يدعونا، بعد ذكر ما في الصلاة المسيحية من نيَّات أساسية، الى عَرض ما في الحياة اليومية من طلبات متواضعة وعملية.

ارزقنا اليوم خبز يومنا: يدعونا يسوع الى أن نطلب، يوماً بعد يوم، ما نحتاج اليه من الطعام: أن نطلبه بثقة، لأن الله أفضل بكثير من جميع آباء الأرض، مع انه ما من أحد منهم، «اذا سأله ابنه رغيفاً أعطاه حجراً» (متى ٧ / ٩). سبق لله أن غذَّى شعبه بالمنّ في البرية يوماً بعد يوم (خر ١٦)، فبإمكانه أن يفعله اليوم أيضاً.

أَعفنا ممَّا علينا، فقد أعفينا نحن أيضاً مَن لنا عليه: العقبة الحقيقية القائمة بين الله وبيننا هي خطيئتنا. أمام محبّته، نعجز عن الإدلاء بجواب واف. نحن مدينون عاجزون عن الوفاء، فلا نستطيع أن نكفِّر عن الذنب الذي نُنزله في الآخرين وفي

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

أنفسنا. لكن يسوع هو الكشف الحيّ عن مغفرة الله التي هي مجرّد نعمة. وهو يدلّنا على سبيل تقبُّلها دون أن تُمسّ كرامتنا، وذلك بالمغفرة لإخوتنا قبل طلب مغفرة الله.

ولا تعرّضنا للتجربة، بل نجّنا من الشرّير: ليست ترجمة هذا الطلب بالأمر السهل. ورد في النص اليوناني الأصلي: «لا تُدخلنا في التجربة»، ومنهم من يترجمه بـ «لا تُخضعنا للتجربة». لكن هذه الترجمة توحي بأن الله هو الذي يجرِّبنا، وهذا أمر غير صحيح. ومن جهة أخرى، لا يحسن أن نطلب الى الله أن نكون في مأمن من هذا الاختبار المحتَّم للتجربة الذي تتثبَّت فيه حريتنا. إنها شريعة من شرائع الوضع البشري، خضع لها يسوع نفسه. قد تكون الترجمة الفضلى: «لا تدعنا نستسلم للتجربة». فإننا نخاطب الله وننتظر عمله ونسأله أن يساعدنا. لكننا نبتعد بعض الشيء عن الأصل اليوناني.

إن صلاة الأبانا وليدة صلاة يسوع، فهي مقياس كل صلاة. وما أوفر معانيها وأروعها! إنها تدعونا أولاً الى أن نرى في الله أبانا، من دون أن نغضّ النظر عن تعاليمه: فهو القريب والآخر في آن واحد. ثم إنها تُدخلنا في وحدة قُطبَي الحياة المسيحية: مجد الله وخلاص العالم. لا يمكن الفصل بين الله وتدبيره وعمله وملكوته. وبعد ذلك، وفي داخل وحدة تلك النيَّة المزدوجة، تتدرج الحاجات اليومية: فالانسان يحتاج الى الخبز، ويحتاج الى المغفرة، ويحتاج الى المساعدة في التجربة.

وبما أن الأبانا هي مثال كل صلاة، فهي تُدخلنا في ادراك معنى الخلاص، علماً بأنه عطية من الله، لا تتحقّق مع ذلك من دوننا. وهكذا فهي توجِّه حياتنا كلها. لقد أرسل الله إبنه يبشِّر بملكوته ويفتتح تحقيقه ويدعونا الى خدمته. «ليأتِ ملكوتك»: لا نستطيع أن نرفع اليه هذا الطلب من دون أن نتعاون معه على تحقيقه، كما أنه لا يحسن أن يرزقنا خبزنا، ونبقى مكتوفي الأيدي.

ان الصلاة هي فعل الإيمان المثالي. فالدخول في الأبانا هو أن نقدم على رؤية كل شيء من وجهة نظر الله، وهو أن ننتظر كل شيء من نعمته، وفي الوقت نفسه أن نجعل في خدمة هذه النعمة جميع وسائل ذكائنا وعملنا. فإن عظمة أبناء الله هي الدخول التام في عمل أبيهم.

٢. صلاة التلاميذ

لم يكتفِ يسوع بأنه هو نفسه صلَّى، بل علَّم تلاميذه لماذا وكيف عليهم أن يصلّوا. ونرى من خلال إنجيل لوقا أنه شدَّد بوجه خاص على الاستمرار في الصلاة والثبات فيها.

الإلحاح: بعد الكلام على الأبانا، جعل لوقا مثَلَ الصديق الذي يلين عند لجاجة صديقه (١١ / ٥ — ١٣). فهو لا يفتح له باب بيته إلاَّ ليرتاح منه. وأضاف يسوع: على هذا النحو يجب أن نصلّي الى الله.

وهناك مثل آخر يشبهه، وهو مثل القاضي الظالم (١٨ / ١ — ٨). استهلَّه يسوع بهذا

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

القول : «ضرب لهم مثلاً في وجوب المداومة على الصلاة من غير ملل».

لا يخلو هذان المثلان من الظرف. ولكن، حين نفكّر في الليالي الطوال التي قضاها يسوع في الصلاة وتلك الليلة التي بكى فيها وعرق دماً في بستان الزيتون... ندرك أن يسوع عاش كل ذلك قبل أن يعلّمه. فبعد صلاته الطويلة في بستان الزيتون، نراه واقفاً لاستقبال الذين أتوا لاعتقاله، بعد أن رأيناه فاقد الأمل وخائر القوى.

الاستمرار في الانتظار: ان خاتمة الخطبة الأخيرية الثانية (٢١ / ٣٤ — ٣٦) تصبُّ في الاتّجاه نفسه. أنبأ يسوع بمجيء ابن الانسان وختم قائلاً: «اسهروا وصلّوا لئلاّ يُثقل قلوبكم السكرُ والقصوف وهموم الحياة الدنيا...». كان مَثَل القاضي الظالم خاتمة للخطبة الأولى في نهاية العالم. وهذا ما يُضفي على الصلاة كل بُعدها: لا بدّ من السهر والصلاة في انتظارٍ فعّال لمجيء ملكوت الله.

أطلبوا الروح القدس: في انجيل لوقا، تُرفع الصلاة للحصول أولاً على الخيرات الروحية. ولقد حافظ في اهتماماته على ترتيب الأبانا: يُطلب الخبز ولا شك، ولكن يُطلب، قبل كل شيء، عمل الله، أي الخلاص. والخاتمة التي أضافها يسوع الى مثل الصديق الذي يلين أمام لجاجة صديقه معبِّرة جداً (١١ / ٩ — ١٣). في انجيل متى تعليم مماثل جعله في العظة على الجبل: «فإذا كنتم أنتم الأشرار تعرفون أن تُعطوا العطايا الصالحة لأبنائكم، فما أولى أباكم الذي في السموات بأن يُعطي ما هو صالح للذين يسألونه» (متى ٧ / ١١). وفي انجيل لوقا نص يكاد أن يكون طبقَ نص متى، إلاّ في كلمة واحدة: «... فما أولى أباكم السماوي بأن يهب الروح القدس للذين يسألونه». ان الآب يهب لأبنائه جميع أنواع العطايا، لكن لوقا يهتم بالعطية المثالية التي هي الروح القدس. وهو يبيِّن لنا، في سفر أعمال الرسل، كيف أن الكنيسة نشأت بعطية من الروح.

ذلك هو أيضاً معنى التعليم في عدم الاهتمام الزائد (١٢ / ٢٩ — ٣١). ففي انجيل متى (في العظة على الجبل)، يصرِّح يسوع فيقول: «فلا تهتمّوا فتقولوا: ماذا نأكل؟ أو ماذا نشرب؟ أو ماذا نلبس؟ فهو كله يسعى إليه الوثنيون، وأبوكم السماوي يعلم أنّكم تحتاجون الى هذا كلّه. فاطلبوا أولاً ملكوته وبرَّه تُزادوا هذا كلّه» (متى ٦ / ٣١ — ٣٣). أمّا لوقا، فهو أكثر تطلُّباً: «فلا تطلبوا انتم ما تأكلون... بل أطلبوا ملكوته تُزادوا ذلك». زالت كلمة «أوّلاً»، فإن ملكوت الله، في نظر التلاميذ، هو الاهتمام الحقيقي الوحيد.

الصلاة بيسوع والى يسوع

في سفر أعمال الرسل، نرى التلاميذ يصلُّون في العليّة بعد الفصح، ونراهم يصلُّون في الهيكل. لكن الجديد في ذلك أنهم أخذوا يصلُّون بيسوع والى يسوع. لمّا كان على قيد الحياة، لم يصلِّ إليه أحد. فهو لا يصبح ربًّا وموضع عبادة إلاّ في قيامته. ولمّا اقتضى الأمر بأن يتم اختيار رسول ليحل محل يهوذا، رُفعت الصلاة الى الرب يسوع: سبق له أن اختار الاثني عشر، فإليه تُرفع

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الصلاة لانتخاب بديل (رسل ١ / ٢٤). ووصف لنا لوقا موت اسطفانس، كما وصف لنا موت يسوع. ولكن يسوع خاطب الآب، في حين أن اسطفانس صاح: «ربِّ يسوع، تقبَّل روحي» (رسل ٧ / ٥٩). ولمَّا اعتُقل بطرس ويوحنا ثم أُخلي سبيلهما، اجتمعت الجماعة واستهلَّت شعائر العبادة بصلاة يهودية تُرفع الى الله الخالق: «يا سيِّد، أنت صنعت السماء والأرض والبحر...»، لكنها تنتهي بـ «... باسم عبدك القدّوس يسوع» (رسل ٤ / ٢٤ — ٣٠)، وهو نقطة انطلاق عبارتنا الطقسية.

لمَّا كان يسوع على قيد الحياة، حدَّد موقف الرسل من الله وحدَّد موقفه معهم من الله. وفي سرّه الفصحي، أصبح حاضراً لأجلنا أمام الله، وحيًّا أبداً للشفاعة فينا. وهذا الاختبار الفصحي عُبِّر عنها عفوياً في الصلاة بيسوع والى يسوع. ونشأت العبادة المسيحية في سرّ الفصح، عن الاقتناع بحضوره لدى الله للأبد.

من يقول في الله «هو» ولا يقول له أبداً «أنتَ»

من بشَّر ولم يصلِّ يكفّ عن التبشير في أحد الأيام

«لا ينسى فقط أن يُعيد شحن مراكمه، بل ينغمس في الرياء. فكيف يستطيع أن يشير الى الله الذي يعتقد بأنه حاضر في العالم، وهو لا يخاطبه أبداً؟ من يقول في الله «هو» ولا يقول له أبداً «أنتَ»، ينسى شيئاً فشيئاً ملامح وجه الله. وذاتَ يوم لا يكون الله له سوى فكرة ثم سوى كلمة. ذلك بأن في نقطة الانطلاق خطأً في المنطق. لا يستطيع الانسان أن يتحدَّث عن إله لا يستمع إليه ولا يخاطبه. من العِبَر التي تلقيها علينا حياة الأب شارل دي فوكو أنه لا يتحدَّث أبداً عن الله، بل يخاطب الله دائماً. وذروة ما أوحى به يسوع هي تلك الصلاة الكهنوتية التي يجعلنا فيها شهوداً لحواره مع الآب.

فالصلاة وحدها تجعل إيماننا أصيلاً وملموساً. وبدونها لا تحقِّق مساعينا نفسُها إيماننا ولا تشهد لله. بدون الحوار مع الله، لا تصير فكرة الله ملموسة، وإن تُرجمت بمساعي متعدِّدة على الصعيد الزمني. ان «عَيْش» التبشير لا يتضمّن التقارب بين الناس فقط، بل يقتضي الحوار مع الله» (بولس غيِّي).

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الغفران

باشر يسوع خدمته الرسولية بالدعوة الى التوبة. لا يمنح الغفران إلاَّ الله وحده، ولكن لا بدّ أن يتقبَّله أحد. وليست التوبة إلاَّ ذلك الفعل الذي يقوم به الانسان والذي يتقبَّل به النعمة التي أُعطيت له. لا يكفي أن يتوب الانسان لكي ينال الغفران تلقائياً، فإن الغفران هو نعمة والتوبة هي تقبُّل هذه النعمة.

دعا الأنبياء الى التوبة للاستعداد للغفران. تلك كانت رسالة يوحنا المعمدان، وهذا هو وجه من وجوه رسالة يسوع. فلقد قال: «لن يُعطى هذا الجيل سوى آية يونان» (لو ١١ / ٢٩) والحال أن آية يونان هي الدعوة الى التوبة. لخَّص مرقس افتتاح يسوع لخدمته الرسولية: «حان الوقت واقترب ملكوت الله، فتوبوا» (مر ١ / ١٤ — ١٥). فالتوبة هي مساهمة الانسان في غفرانه.

في الاناجيل الإزائية، ورد مرَّة أن يسوع أخبر خاطئاً بأن الله غفر له. فلقد صرَّح للمقعد الذي أتوا به ليشفيه: «غُفرت لك خطاياك». إنها عبارة متواضعة، فإن يسوع لم يقل: «أغفر لك خطاياك»، بل «غُفرت لك خطاياك»، أي غفر الله لك خطاياك. فالله يغفر الخطايا في يسوع المسيح، والغفران الفردي لذلك المُقعد يدل على الغفران الشامل والنهائي الذي سيُمنَح في آخر الأزمنة. وكما أن المعجزة هي آية للخلاص النهائي، فالغفران الذي يمنحه وهو على قيد الحياة هو استباق وصورة سابقة للغفران الشامل.

في انجيل مرقس، تلك الحالة هي الحالة الوحيدة التي منح يسوع فيها الغفران. ولقد روى لوقا بعض الحالات الأخرى، ولكنها قليلة. ذلك بأن المكان الصالح للغفران، في نظر الفكر المسيحي، هو السر الفصحي. ففي قيامة يسوع يُنادى بالغفران لجميع الناس، ويُدعى جميع الناس الى الغفران. وفي آخر الأمر، فإن هذا

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الغفران، الذي يُمنح في قيامة المسيح، لا يستمدّ جميع نتائجه إلاَّ من مجيء المسيح، إلاَّ من آخِر الأزمنة، لأن الناس هم خاطئون، حتى بعد القيامة. نحن على يقين من أنه غُفر لنا، لكننا على يقين أيضاً من اننا لا نزال خاطئين. ما من غفران نهائي إلاَّ في آخِر الأزمنة. ولذلك ليست غفرانات يسوع، في حياته على الأرض، إلاَّ علامات ومواعد للغفران النهائي.

لوقا هو أكثر كتّاب العهد الجديد تشديداً على التوبة وعلى الغفرانات التي منحها يسوع في حياته على الأرض. سنبحث في النصوص المهمَّة الستَّة التي تكلَّم فيها لوقا على ذلك.

آ) يوحنا المعمدان يبشِّر بالغفران في يسوع المسيح

ان يوحنا المعمدان لا يغفر هو نفسه، بل ينادي بمعمودية توبة لغفران الخطايا، لذلك الغفران الذي سيمنحه الله في يسوع المسيح. لوقا يتّبع مرقس، لكنه يشدّد أكثر منه على هذه الفكرة. سنتوقَّف عند نصَّين.

لا شك أن نشيد زكريا كان، في الاصل، رتبة طقسية قامت بها الكنيسة الأولى في احتفالها بالخلاص الفصحي في يسوع المسيح. يُشاد فيه بالخلاص الذي مُنح في بيت داود، لنستطيع أن نخدم الرب في البرِّ والقداسة. وفي هذا النشيد مقطع يحدِّد رسالة يوحنا: «وأنتَ أيها الطفل، ستسير أمام الرب». وهذا يعني أنه نبي المخلّص، وايليا الجديد الذي كُتب أنه سيأتي لينبئ بدينونة الله، على ما ورد في سفر ملاخي (٣ / ٢٣ — ٢٤): «ستسير أمام الرب لتُعدّ طرقه، وتعلّم شعبه الخلاص بغفران خطاياهم» (لو ١ / ٧٦ — ٧٧). ان يوحنا لا يمنح غفران الخطايا، بل معرفة الخلاص الذي ستُمنح في غفران الخطايا. إنَّه نبيّ الغفران، النبي الأخير الذي أتى قبل ذلك الغفران المحصول عليه في يسوع المسيح.

كُتب أن يوحنا سيأتي، بحسب ما قيل لزكريا (لو ١ / ١٧)، «ليردَّ قلوب الآباء الى البنين» (ملا ٣ / ٢٤). هذا ما تهدف إليه معمودية التوبة، التي يحدِّثنا لوقا عنها عدّة مرات في سفر أعمال الرسل (١٣ / ٢٤ و ١٩ / ٤).

يشدّد لوقا في انجيله، بوجه خاص، على وصف تلك التوبة. فيسأل يوحنا المعمدان سامعيه أن «يُثمروا ثمراً يدل على التوبة». ويضيف لوقا (٣ / ١٠ — ١٤): «فسألت الجموع يوحنا المعمدان: فماذا نفعل؟». هاتان الكلمتان هما، عند لوقا، من مفردات التوبة: سأل بولس في طريق دمشق: «يا ربّ، ماذا أعمل؟»، أي بأية أفعال عملية أدلّ على تلك التوبة؟ يفصِّلها يوحنا المعمدان، وهو يطالب بالمقاسمة الأخوية: «من كان عنده قميصان، فليقسمها بينه وبين مَن لا قميص له. ومن كان عنده طعام، فليعمل كذلك». وهو يدعو الجنود الى ممارسة العدل: «إقنعوا برواتبكم، ولا تستغلُّوا أحداً ولا تتحاملوا عليه»، كما أنه يقول للعشَّارين: «لا تجبوا أكثر ممَّا فُرض لكم». ان لوقا كثير الاهتمام بحقيقة تلك التوبة. ولقد شرح ذلك قائلاً إنها توبة لغفران الخطايا، استعداداً لقبول هذا الغفران. يقوم دور

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

يوحنا المعمدان على التمهيد للغفران. أمّا يسوع فهو يمنح الغفران. في انجيل لوقا نصّان يعبّران عن هذا الأمر صراحةً وثلاثة نصوص لا ترد فيها هذه الكلمة، مع أن المعنى واضح وعميق. جميع تلك النصوص، ما عدا الأول، ينفرد بها لوقا.

ب) منح الغفران للمُقعد (٥ / ١٧ — ٢٦)

ورد شفاء المقعد عند الازائيين الثلاثة، وهي معجزة من أُولى المعجزات التي أجراها يسوع.

لنبدأ ببعض الملاحظات الأدبية. إنها رواية معجزة، لكنها، ولا شك، في خدمة تعليم يلقيه يسوع: تظهر المعجزة بمظهر دليل على الغفران، علماً بأن ذروة النص تهدف الى الإشارة الى أن يسوع يقدر على غفران الخطايا. قام جدال كثير حول مصدر هذا النص: تساءل المفسّرون هل وُضع على مرحلتين. وفي هذه الحال، نكون أمام رواية معجزة استُخدمت مرّة أخرى لإلقاء درس في الغفران. الأمر ممكن، لأن الأناجيل ليست رسوماً ومحاضر لما صنع يسوع، بل حُرِّرت في ضوء سر يسوع بكامله، ووُضعت لاستخدامها في التعليم. وهي، في ذلك، أمينة ليسوع.

يبدو الغفران فريداً في هذا النص، فإننا، إذا أهملناه، نحصل على رواية معجزة لا ينقصها أي شيء. لكنّ بنيتها الحالية، التي نجدها عند الازائيين الثلاثة، عريقة في القدم، فهي التي سنبحث فيها.

في المدخل (٥ / ١٧ — ١٩)، يضع لوقا كل شيء في مكانه: السامعون، وعلماء الشريعة الذين سيُستخدمون للتعليق على كلام يسوع، ويسوع «الذي يعلِّم» (وهذا أمر طبيعي في رواية معجزة، لأن المعجزة تُستخدم في سبيل التعليم). ويضيف لوقا أن «قدرة الرب كانت تشفي المرضى عن يده»، أي أن يسوع قادر على الشفاء.

وإذا بأناس يحملون على سرير «رجلاً كان مقعداً». وحاولوا أن يدخلوا به ليضعوه أمام يسوع. فلم يجدوا سبيلاً الى الدخول لكثرة الزِّحام. فصعدوا به الى السطح ودلّوه بسريره «من بين القرميد». نكتشف هنا أن لوقا يوناني... فإن القرميد لا وجود له في بيوت فلسطين!

واليك الآن رواية الغفران (الآية ٢٠ ت). نشاهد هنا ظاهرة تضامن كثيراً ما وردت في الكتاب المقدس: رأى يسوع ايمان الجمع، ايمان المقعد ولا شك، بل وايمان أولئك الناس الذين حملوه، وهذا الايمان مكّنهم من نيل المعجزة كآية من عند الله، كما أنه مكّن يسوع من العمل. «لـمّا رأى ايمانهم قال: يا رجل، غُفرت لك خطاياك». الفعل في صيغة المجهول، وهي طريقة للتعبير عن أن الفاعل هو الله. وهناك أمثلة أخرى: «طوبى للذين يغفرون، فإنه سيُغفر لهم» (سيغفر الله لهم)، و «يُسلَم ابن الانسان»، لا من قبل يهوذا، بل من قبل الله، بسبب خطايانا، وهو موضوع من مواضيع العقيدة المسيحية القديمة. باستعمال صيغة المجهول، كان اليهودي يتجنّب التلفّظ باسم الله عن احترام. فنقول إذاً في العربية: «غَفَرَ الله لك خطاياك».

ماذا يعني ذلك في فكر يسوع؟ يعني أن آخِر الأزمنة قد حان، وان ملكوت الله اقترب، وهو

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ذلك الزمن الذي تُغفر فيه الخطايا. كان العهد القديم كله مشدوداً الى ذلك اليوم الذي يغفر الله فيه الخطايا، الى يوم العهد الجديد (ار ٣١ / ٣١ ت). فالتصريح، على لسان يسوع، بأنْ «غُفرت لك خطاياك» يعني «اقترب ملكوت الله».

إنه هنا... وليس هو هنا منذ الآن! لا بدّ من الفصح ومن مجيء المسيح ليُقام على وجه نهائي. وهذا الخلاص هو خلاص أخيري، أي أنه لآخِر الأزمنة، ومع ذلك فإنه يعمل منذ الآن، وهو حاضر بكامله في يسوع. يمتاز فكر يسوع بهذَين البُعدَين. وهذا أمر يصحّ بوجه خاص في مغفرة الخطايا. ان ملكوت الله هو الغفران للخاطئين... وهذا الغفران يتركنا خاطئين، لكن خطايانا غفِر... ولا نزال دائماً في حاجة الى الغفران. وهذه المفارقة التي نجدها في الانجيل وفي الحياة المسيحية تستند الى اليقين بأن الخلاص هو في يسوع المسيح، وبأنه يسير ويعمل، وبأنه لن يتمّ على وجه نهائي إلاّ في اليوم الأخير. ويسوع وحده يستطيع أن يعبّر عن غفران الله، لأنه وحده يعلم بأن ملكوت الله هو هنا، حاضر فيه.

فدخل الكتبة والفريسيون في جدال: «من هذا الذي يتكلّم بالتجديف؟ من يقدر أن يغفر الخطايا إلاّ الله وحده؟». لم يكونوا على خطأ. فالخطيئة هي اساءة الى الله — وهذا قلب العهد القديم والعهد الجديد —، فالله وحده يستطيع أن يغفرها. ذَنْبهم أنهم رفضوا أن يبحثوا هل ليس هناك مرسَل من قبل الله تقوم مهمّته على التبشير بهذا الغفران، مرسَل لم يكن له أيّ مثيل. للمرّة الأولى في تاريخ البشرية الديني، جرؤ انسان على القول: «غُفرت لك خطاياك»، علماً بأن يسوع قال ذلك بكثير من التواضع. لم يقل: «أغفرها لك»، لكنه، لمّا رأى مثل ذلك الايمان، عبّر عن شعوره بأنه الخلاص المرسَل الى البشر. اذا تخطّينا النص نفسه بعض الشيء وانطلقنا من الانجيل في مجمله، استطعنا أن نقول إن غفران الخطايا، في نظر يسوع، يُمنح في قيامته، في موته، في ذبيحته، يُمنح في سرّه الفصحي. وهنا يستبقه يسوع، فكأننا أمام نبوءة وعلامة لما سيتمّ في موته. سنعود الى كل ذلك في وقت لاحق.

«فعلم يسوع افكارهم فأجابهم: لماذا تفكّرون هذا التفكير في قلوبكم؟». يجوز لنا أن نشير هنا — وهذا ما فعله لوقا كثيراً — الى نفاذ بصيرة يسوع الذي يقرأ في القلوب. ولكن، لا يحسن أن نُكثر المعجزات، اذ لم يصعب على يسوع أن يقرأ ردود فعل الكتبة على وجوههم. سيأتيهم يسوع بعلامة منظورة. حسن أن يُقال لمقعد: «غُفرت لك خطاياك»، لكن ذلك لا يُرى. أمّا اذا أُضيف: «قم فامشِ»، فسيرى الحاضرون أنه يقوم. «فلكي تعلموا أن ابن الانسان له في الأرض سلطان يغفر به الخطايا — ثم قال يسوع للمقعد: «أقول لك: قم فاحمل سريرك واذهب الى بيتك. فقام من وقته...». «فلكي تعلموا...»: ان رواية المعجزة هي في خدمة تدخُّل أهم بكثير، وهو غفران الخطايا.

قال يسوع أولاً: «غُفرت لك خطاياك»، أي غَفَرَ الله لك خطاياك. أمّا الآن فهو يُظهر ذلك

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

بمظهر سلطان شخصي: هذا تأكيد رسمي على أن ابن الانسان وُلّي ذلك السلطان. يجوز لنا أن نرى هنا عمل التقليد. فإن التأكيد الأول أقرب بكثير الى طريقة يسوع، فهو يبشّر بالخلاص باسم الله، ولا ينسب الأشياء الى نفسه. ومن الراجح أن الصيغة الثانية اتّخذت شكلها النهائي في ايمان الفصح، لأنهم لم يبشّروا بغفران الخطايا إلاّ في المسيح القائم من الموت. فنحن هنا أمام تفسير يعود الى المسيحيين الأوّلين، ويُستغرب أن يكون قد سبق الفصح.

«فقام من وقته...». فاستولى على الحاضرين الدهش والخوف، ذلك الخوف الذي يعني، في الكتاب المقدس، الاعتراف بعمل إلهي. وأخذوا يقولون: «رأينا اليوم أموراً عجيبة»، أي أموراً تخالف العادة والفكر والآراء المألوفة.

هذا الغفران للمقعد هو نص مشترك بين الازائيين الثلاثة. ومن الراجح أنه تأثّر بالعمل الذي قام به المسيحيون الأولون في ضوء التقليد الفصحي. لا شك أن هناك تقليداً مشتركاً في نقطة الانطلاق، وهي ذكرى أن يسوع، وهو على قيد الحياة، بشّر بالغفران منذ الوقت الحاضر. هذه هي الحالة الوحيدة المشتركة بين الازائيين الثلاثة. ورد في الانجيل ٢٥ أو ٣٠ رواية معجزات، ولم يرد من روايات الغفران إلاّ القليل، وهذا ما هو أهمّ بكثير. أجرى الأنبياء والمعاصرون كثيراً من المعجزات، ولكن ما من نبيّ جرؤ على القول لأحد: «غُفرت لك خطاياك». لا يُمنح غفران الخطايا إلاّ في السرّ الفصحي، إلاّ في الكنيسة.

سنقرأ الآن نصوصاً ينفرد بها لوقا.

ج) الخاطئة (٧/ ٣٦ — ٥٠)

ينفرد لوقا بذكر هذه الرواية الرائعة، رواية الخاطئة التي غفر لها يسوع لأنها أحبّت كثيراً. لماذا وضعها في الإطار الذي يرويه لنا؟ انتهى من الكلام على يوحنا المعمدان (وهو نص مشترك بينه وبين متى): السؤال الذي طرحه يوحنا على يسوع: «أأنت الآتي؟»، وتحديد دور يوحنا على لسان يسوع، ورأي يسوع في جيله الذي رفضه كما رفض يوحنا المعمدان. فقال: «بمن أشبّه أهل هذا الجيل؟... يشبهون أولاداً قاعدين في الساحة يقلّدون الجنازات ويقلّدون الأعراس. يصيح بعضهم ببعض فيقولون: زمّرنا لكم فلم ترقصوا، وندبنا لكم فلم تبكوا. جاء يوحنا المعمدان لا يأكل خبزاً ولا يشرب خمراً، فقلتم: لقد جُنّ، فإنه يبالغ في التقشّف. وجاء ابن الانسان يأكل ويشرب كسائر الناس، ويذهب الى عرس قانا، فقلتم: هوذا رجل أكول شرّيب للخمر، صديق العشّارين والخاطئين. ان اختار أحد التقشّف، لا تريدون، وان اختار الحياة العادية، لا تريدون. فماذا تطلبون؟». يتضامن يسوع مع يوحنا المعمدان على ذلك الجيل الذي يرفض الأنبياء أيًّا كان نمط حياتهم. نمط التقشّف أو نمط الحياة في وسط العالم. تجدر الإشارة الى أن يسوع — الذي مات على الصليب بعد أن لم يستطع أن يأكل كفايته كل يوم — يوصف هنا بإنسان لم يمارس التقشّف.

وصف يسوع نفسه بأنه صديق الخاطئين

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

والعشّارين وقال إنه النبي الحقيقي المنتظَر. فكان مجيء الخاطئة ورفض الفريسيين تعزيزاً لهذا القول. لا شك أن لوقا وجد هذه القصّة في التقليد، لكنه جعلها هنا ليعزّز قول يسوع وتصرّفه مع الخاطئين.

في هذه الرواية بعض الصعوبات المألوفة. أمامنا رواية مؤلَّفة من جزئين: رواية قدوم الخاطئة والمَثَل الذي رواه يسوع، وهذان الجزءان لا يتّجهان، على ما يبدو، في جهة واحدة.

قام أحد الفريسيين بدعوة يسوع الى الطعام. يذكر لنا لوقا ثلاث مرّات مثل تلك الدعوة، حرصاً منه على الإشارة الى أن هناك فريسيين متعاطفين (في انجيل متى، يظهرون دائماً بمظهر الأعداء، في حين أنهم، في انجيل لوقا، أعداء من حين الى آخر). لا شك أن عطف لوقا عليهم يتّفق مع حدث تاريخي، وهو أن الفريسيين كانوا يشكّلون الأكثرية بين يهود ذلك الزمن، فيُستغرب ألاّ يكون بعضهم ممّن تبعوا يسوع. لكن هناك تفسيراً آخر لعطف لوقا عليهم، وهو أنه كان يعيش في محيط القديس بولس، ونحن نعلم بأن بولس ما زال يفتخر بكونه فريسياً. فلا عجب أن يكون لوقا قد تحسّس لهذه الناحية فأراد أن يُظهر لنا فريسيين متعاطفين. أمّا متى، فلقد كتب انجيله في محيط حمله على مقاومة الفريسيين. كل ذلك ما يفسّر اختلاف موقفهما من الفريسيين.

دخل يسوع اذاً عند الفريسي وتمدّد على السرير (كانوا يأكلون مضّجعين، في المآدب الكبرى). فوصلت تلك المرأة، وكانت معروفة في المدينة بأنها خاطئة. كان وضعها غير عادي، ابتداءً من وجودها في هذا البيت. كان الجميع يعرفونها. وإذا بها تذلّل نفسها وتبكي. لا يصف لوقا لنا حالتها النفسية، لكن موقفها يدل على ندامتها. ففي يسوع أدركت معنى خطيئتها وفي يسوع فهمت ما هي محبة الله. والى يسوع أتت للكشف عن ندامتها كشفاً علنياً، أمام أهل البلدة المجتمعين، وقامت بعمل نادر. من الطبيعي أن تأتي بالعطور، لكنهم كانوا يصبّونها عادةً على الرأس. وإذا صبّتها على قَدَمَي يسوع، فللدلالة على أنها لا تستحقّ أن تصبّها على رأسه. ثم أخذت تمسح قدميه بشعر رأسها. وهذا شيء لا يُعمل، بل هو علامة محبة وتواضع غير عادية. إنّها أعلنت عدم استحقاقها، ببقائها وراء يسوع.

فقال الفريسي في نفسه: «لو كان هذا الرجل نبيًّا، لَعلم من هي المرأة التي تلمِسه وما حالها: انها خاطئة». فكان يسوع اذاً يُعَدّ نبيًّا، فتساءل الفريسيون: لو كان ذلك صحيحاً، لَما وقع في هذا الخطأ... فشعر يسوع بما يفكّر فيه سمعان وروى هذه القصة: «كان لمداين مدينان، على أحدهما خمسمائة دينار (هذه أجرة ستّي عمل) وعلى الآخر خمسون. ولم يكن بإمكانهما أن يوفيا دينهما فأعفاهما جميعاً. فأيّهما يكون أكثر حبًّا له؟». فأجابه سمعان: «أظنه ذاك الذي أعفاه من الأكثر». فقال له: «بالصواب حكمت». أمام المسيح، نحن جميعاً مدينون عاجزون عن الوفاء. رفع يسوع المسألة من أوّلها الى مستوى الحب. فسؤاله هو: «أيّهما هو أكثر حبًّا؟». ثم بيّن في شرحه أن مبادرة الخاطئة هي مبادرة حب. ولكن

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

يجب الانتباه — وهذا ما لا غنى عنه لادراك معنى الجملة التالية — الى أن الحب هو نتيجة الغفران، لا سببه. مَن هو الذي يحب؟ هو مَن أُعفي من الأكثر. ففي نقطة الانطلاق، نجد الغفران.

وأخذ يسوع يشرح المَثَل، فالتفت الى المرأة. قبل ذلك، تركها وشأنها وأرغمها على البلوغ بندامتها وشهادتها حتى النهاية. ثم قال للفريسي: «أترى هذه المرأة؟ ما سكبتَ على قدميَّ ماءً (من أعمال الضيافة المألوفة). أمَّا هي فبالدموع بلَّت قدميَّ...». ليس في ذلك حتماً توبيخ لسمعان، فإن أعمال الضيافة المشار إليها كانوا يقومون بها في المآدب الكبرى، ومن الراجح أن هذه الدعوة لم تكن منها، بل كان يسوع عابر سبيل فدُعي بعد أن وعظ الجموع. فكأن يسوع يقول له: «لا ألومك، لكن هذه المرأة فعلت ما لم تفعل أنت... لذلك أقول لك: غُفرت لها خطاياها الكثيرة». معنى النص: يظهر ذلك من أنها أحبَّت كثيراً. فليس الحب هو الأوّل، بحسب ما ورد في الرواية، بل الغفران. وليس حبّ المرأة هو الذي أهَّلها للغفران، بل نعمة الغفران التي هي في أصل حبّها.

وهنا أيضاً، لم يقل لها يسوع: «أغفر لك»، بل «غُفرت لكِ خطاياكِ». فهو تثبَّت، إذا صحَّ القول، من غفران الله. لكن هذا الغفران مُنح في حضوره هو، فكان الدليل الذي بفضله تابت هذه المرأة. وهو الذي كان ذلك الوحي بالطهارة والبِرّ والمحبة، التي شعرت المرأة أمامها بأنها خاطئة ووجدت من الثقة ما مكَّنها من المجيء الى يسوع لو كان الفريسي هو المقصود، لما جاءت تبكي عند رجلَيه. فلقد شعرت في يسوع بأنها موضع تفهّم وموضع احترام.

مفتاح النص هو المثل: من غُفر له الكثير، أبدى حبًّا كثيراً، هذه هي الفكرة الأساسية: محبّة الله المتجلّية في يسوع المسيح.

وتساءل الفريسيون، كما تساءلوا عند شفاء المقعد: «مَن هذا حتى يغفر الخطايا؟» وقال يسوع للمرأة: «إيمانك خلّصك، فاذهبي بسلام»، ذلك الإيمان الذي بفضله اعترفتِ بخطاياك، الايمان التي قبلتِ به الغفران، وقد يكون ذلك أصعب شيء يقبله الخاطئ. يصعب علينا أن نصدِّق أنّنا محبوبون. والخطر في حياتنا هو فقد الأمل وخزي خطيئتنا واليأس بسبب الوقوع الدائم في الخطايا نفسها. فالخلاص والإيمان هما أن نصدِّق أننا محبوبون بالرغم من خطيئتنا.

سنقرأ نصوصاً لا ترد فيها كلمة غفران، وإن كان من الواضح أن حقيقته حاضرة.

د) فرح الله. ثلاثة أمثال (لو ١٥)

يمهِّد لهذه الأمثال الثلاثة بمشهد يشبه كثيراً موضوع الغفران. «كان العشّارون والخاطئون يدنون من يسوع ليستمعوا إليه. فكان الفريسيون والكتبة يتذمّرون فيقولون: «هذا الرجل يستقبل الخاطئين ويأكل معهم». نجد هنا مرَّة أخرى موضوع المشاركة في الطعام مع الخاطئين. يواصل لوقا فيقول: «فضرب لهم يسوع هذا المثل...». فنحن اذا في إطار ترحيب يسوع بالخاطئين. لا يعني هذا أن يسوع يبشّرهم على الفور بالغفران

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

قصد الخاطئون هذا النبي، وفي هذه المبادرة بعض الشيء من التماس الله. ولكن هل تابوا؟ وهل مُنحوا الغفران وانتهى الأمر؟ كلاّ، لكن تعليم يسوع يستهدف الغاية من ذلك اللقاء والغفران الذي سيُمنحونه. في تلك الأمثال الثلاثة، ضلَّ خروف وضاع درهم وضلَّ ابن، ثم وُجد ثلاثتهم. فالأمثال الثلاثة هي تفكير في سر التوبة والغفران.

هذه الأمثال مبنيَّة بناء أدبياً رائعاً. ينتهي ثلاثتهم بفرح وجود ما ضلّ أو ضاع: فالراعي عاد بالخروف على كتفيه ودعا الأصدقاء والجيران وقال لهم: «إفرحوا معي، فقد وجدتُ خروفي الضالّ»، والمرأة التي أضاعت درهماً واحداً دعتِ الصديقات والجارات وقالت: «افرحنَ معي فقد وجدتُ درهمي الذي أضعتُه»، وأبو الولد الضالّ قال مرَّتين: «قد وجب أن نتنعَّم ونفرح، لأن أخاك هذا كان ميتاً فعاش، وكان ضالاًّ فوُجد». فهناك لازمة تعبِّر أربع مرَّات عن الفرح لوجود ما ضلَّ أو ضاع. وهناك أيضاً تدرُّج، فليس من العَرَض أن يكون خروف على مئة، ثم درهم على عشرة وابن على اثنين، فيبدو وجود الابن أهم بكثير من وجود خروف من أصل مئة.

وبعد كل من المثلَين الأولَين، شرح وجيز: ففي شأن الخروف الضال يُضاف: «هكذا يكون الفرح في السماء بخاطئ واحد يتوب أكثر منه بتسعة وتسعين من الأبرار لا يحتاجون الى التوبة». وفي شأن الدرهم الضائع يُضاف: «هكذا يفرح ملائكة الله بخاطئ واحد يتوب». فالمقصود في هذا النص واضح، وهو الفرح بالتوبة. الفرح يعود الى الغفران والتوبة هي كنتيجة للغفران. لكن الفريسيين لم يدخلوا في هذه النظرة، بل انتقدوا قائلين: «هذا الرجل يستقبل الخاطئين». فقال لهم يسوع: «تفهَّموا فرح الله، فرحه بالترحيب والغفران!». الفرح أهمّ من التوبة، كما أن الخاطئة أحبَّت لأن خطاياها غُفرت لها. فالله هو البادئ دائماً.

ويجب الإشارة أيضاً الى تعارض غريب بين المثلَين الأوَّلين والثالث. الأمثال الثلاثة تهدف الى عودة الخاطئ، لكنها تنظر إليها من وجهات نظر متكاملة. فالخروف والدرهم هما كائنان ماديَّان لا وعي لهما: فلا بدّ من البحث عنهما. وهذه صورة لرسالة يسوع: فالله يرسل من يبحث عن «توبة الخاطئ»، لكن الخاطئ لم يتب إلاَّ لأن يسوع بحث عنه. فلا يستطيع وحده أن يخرج من حالته التي يُرثى لها.

يُظهر مَثَل ترحيب الأب — وهو الشخص الرئيسي — الوجه المعاكس: لم يقاوم الأب، بل ترك ابنه يذهب. لا يعني ذلك أنه لا يحبّه، لكنه يحترم حريته. فذهب الابن وقام باختباراته فاكتشف أن الأصدقاء الذين يُكتسبون بالمال لا يدومون أكثر من المال. اكتشف الجوع واكتشف وحشة الجوع. ففكَّر في أبيه لاعتبارات لا تخلو من الدناءة: أي عن طريق الجوع الذي يمزِّق أحشاءه! وهو الذي قام وعاد. أمَّا الأب فقد صعد على سطح بيته وتفحَّص الأفق. لم يُرسل مَن يأتي به، ولم يُعِده بالقوَّة، بل انتظره. ولمَّا وصل الابن، أخذ الأب يُسرع الى لقائه وأمر بأن يؤتى بالحُلَّة والحذاء وأن يُذبَح العجل المسمَّن... لم

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

يقل كلمة في ماضي ابنه ، لا بل لم يدعه يُنهي اعترافه. كان المَثلان الأوَّلان مثلَي البحث ، أمَّا المثل الثالث فهو مثل التوبة والعودة.

وهكذا فإن لوقا يضع ، وجهاً لوجه ، الحريتَين اللتين تعملان في الغفران : طلب الأب الذي بحث عن الخاطئ ، وطلب الخاطئ الذي ذهب للقاء الأب. نحن أمام وجهَين للغفران متكاملَين. ففي الغفران ، كما في التوبة والإيمان ، تلتقي حرّيتان. وليس الغفران شيئاً مُذلاً ، وهو لا يعود الى الماضي ، بل الغفران هو احترام متبادل ، لأنه لقاء بين حرّيتين.

هـ) زكّا (١٩ / ١ — ١٠)

ينفرد لوقا بقصة زكّا أيضاً. كان الصعود الى أورشليم في نهايته. وبعد أن شفى يسوع أحد العميان ، مرَّ بأريحا. وكان زكّا يرغب أن يراه.

كانت سمعة زكّا سيِّئة في مدينته ، لأنه كان رئيس العشّارين أو جباة الضرائب. في زمن المسيح ، كانت سمعتهم سيِّئة الى حد بعيد ، وذلك لسببَين : كانوا يجبون الضرائب لحساب المحتلّ الروماني ، أي لحساب أعداء كانوا ، فضلاً عن ذلك ، وثنيين. فكان الشعور السائد بأن المال المدفوع يُصرف في عبادة الأوثان. لو كان أولئك الجباة من الرومانيين! لكنهم كانوا يهوداً ، يتعاونون مع العدو المحتلّ. والى جانب ذلك ، كانوا معروفين بقلّة النزاهة. كان العشّارون يضمنون جباية الضرائب بمبلغ مقطوع يدفعونه للدولة الرومانية ، وكان من النادر أن يحصلوا على أقل ممَّا عليهم أن يدفعوا! فكانت سمعتهم سيئة.

والحال أن زكّا كان «رئيس العشّارين».

«كان زكّا يحاول أن يرى مَن هو يسوع». عن اهتمام أم عن فضول؟ كان يسوع معروفاً بأنه نبي يشفي المرضى. لربَّما كان اهتمام زكّا بيسوع يتماشى مع شيء من السعي الديني ، كما سيتّضح لنا هذا الأمر. كان يريد أن يرى يسوع ، لكنه كان قصير القامة ، فتقدّم مسرعاً وصعد جمّيزة... مع أنه رئيس العشّارين! فرفع يسوع طرفه وقال له : «يا زكّا ، انزِل على عجل ، فيجب عليَّ أن أُقيم اليوم في بيتك». دعاه يسوع باسمه واختار أن يقيم في بيته. فنزل على عجل وأضافه مسروراً. فقالوا كلّهم متذمّرين : ما أكثر اليهود الصالحين في أريحا... وها هو ينزل عند رجل خاطئ...

ووقف زكّا وقال للرب أمام جميع الناس : «ها إني أعطي الفقراء نصف أموالي ، وإذا كنت قد ظلمت أحداً شيئاً ، أردّه عليه أربعة

آنيَّة الخلاص

تحتلّ كلمة «اليومَ» مكانة مرموقة في انجيل لوقا. ولا سيَّما حين تظهر كلمة «خلاص» ، فهي ترافقها عادةً : «اليومَ وُلد لكم مخلِّص» ، «اليومَ حصل الخلاص لهذا البيت»...

يقرأ لوقا الكتاب المقدّس في بعده الحاضر ، وهذه عنده طريقة تأويله. لا يمكن قراءة الانجيل كما يقرأه عالم الآثار. أجل ، ان التاريخ يأتينا ببعض المعلومات ، لكن الإيمان وقراءة الكتاب المقدس في الايمان هما أن نسمع الله يقول لنا : «اليومَ...». ليس الله في الماضي أو في المستقبل. فهو اليومَ يدعونا واليَوم يخلِّصنا.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

أضعاف». لا ذكر لعودة الى الماضي، ولا تأوُّه على ما ارتكبه من خطايا، بل هناك تفهُّم لمعنى المحبة: أُعطي الفقراء نصف أموالي وأردّ أربعة أضعاف. فقال يسوع للحاضرين: «اليوم حصل الخلاص لهذا البيت، فهو أيضاً ابن إبراهيم. لأن ابن الانسان جاء ليبحث عن الهالك فيخلّصه». لا ترد كلمة «غفران». بل كلمة «خلاص». فالغفران هو من مقوِّمات الخلاص.

نحن أمام رواية توبة. هناك دعوة في زكّا، وهي الرغبة في رؤية يسوع. فإن يسوع يجتذبه، وسنرى من سياق الكلام أن هذه الرغبة ليست مجرَّد فضول، كما هو شأن هيرودس في أثناء الآلام. لقد تحتوي تلك الرغبة على ندامة واعية الى حد ما. مهما يكن من أمر، لا شك أن زكّا مفطور على الكرم. لبّى يسوع رغبته وتخطّاها: كان زكّا يريد أن يرى يسوع، فعزم يسوع على الاقامة في بيته، قبل أن يعبّر عن أي طلب. هذا ما يشبه مجيئه الى تلك القرية التي كان مجرّد وجوده فيها دعوة الى الخاطئة. لم يقل لها: «أنتِ خاطئة»، بل اكتفى بأن يكون هناك، في طهارته السامية وفي ترحيبه ومحبته. أمّا هنا، فالأمر أبعد: فإن يسوع هو الذي دعا زكّا ودعا نفسه. ليست هذه طريقتنا في معاملة الخاطئين. بل طريقة الله.

لا عجب أن يضع لوقا على لسان زكّا كلمة «الرب»، فإن يسوع يتصرَّف تصرّف السيد الكريم. ويظهر هنا، كما ورد في حالة المقعد، موضوع «ابن الانسان: «لابن الانسان في الارض سلطان يغفر به الخطايا» (المقعد) و «لأن ابن الانسان جاء ليبحث عن الهالك فيخلِّصه». من الراجح أننا هنا أمام صدى للاستعارة التي اشتهر بها النبي حزقيال (٣٤ / ١٦): الراعي الصالح يبحث عن الخروف الضالّ. فهذا أحد المواضيع التي يعبَّر بها عادةً عن الغفران. وبما أن المقصود هنا ليس هو مثلاً، بل موقفاً حقيقياً لرجل اسمه زكّا، ففي إمكان يسوع أن يستخلص الى أقصى حد نتائج النعمة التي يجسّدها: إنه الرب، ابن الانسان، جاء يبحث عن الهالك ويخلّصه.

و) لصّ اليمين (٢٣ / ٣٥ — ٤٠)

إن حلقة لصّ اليمين هي من أكثر الحلقات صدىً لموضوع الغفران. وتتّخذ هذه الحلقة كل معناها من الإطار الذي ترد فيه. عُلّق يسوع على الصليب وأخذ عظماء الكهنة والكتبة يسخرون منه. في انجيل متى ومرقس، نسمعهم يقولون: «خلّص غيره، ولا يقدر أن يخلِّص نفسه! هو ملك اسرائيل، فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به!». أمّا لوقا، فيختلف عنهما بعض الشيء: «خلّص غيره فليخلِّص نفسه، ان كان مسيحَ الله المختار!». فلا يقول هنا: لينزل عن الصليب فنؤمن به. لكنّ التهكّم هو هو في الحالتين.

ومن جهة أخرى، بطريق الصدفة أن يكون لوقا قد قلب هنا ترتيب المواد كما وردت عند مرقس يبدو أنه أراد أن يجمع هنا جميع الملامح المختصة بمُلك يسوع. قال الرؤساء: «ان كان مسيحَ الله، المختار (= الملك المشيح) (الآية ٣٥). أمّا الجنود، وهم لا يظهرون إلاّ في وقت لاحق عند متى ومرقس، فإنهم قالوا: «ان كنتَ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ملك اليهود، خلِّص نفسك!» (الآيتان ٣٦ — ٣٧). و «كان أيضاً فوقه كتابة خُطّ فيها: هذا ملك اليهود» (الآية ٣٨). وهكذا، فإنَّ لقبه المَلَكي يُعلَن ثلاث مرَّات، وثلاث مرات يرد موضوع «الخلاص»: «خلِّص نفسك»، وفي المرَّة الثالثة، يشتمه أحد المجرمَين المصلوبَين معه فيقول: «خلِّص نفسك وخلِّصنا». فهناك تشديد على مُلْك يسوع (الذي يُسخر منه) والتحدِّي بالخلاص. في انجيل متى ومرقس، تقف الرواية هنا. أمَّا في انجيل لوقا، فيُضاف إليها حلقة لصّ اليمين.

اعترف هذا المجرم بمُلْك يسوع: «اذكرني يا يسوع اذا ما جئتَ في ملكوتك»، لكنه أعلنه في الإيمان، فبشَّره يسوع بالخلاص. كان الخلاص الذي تكلَّم عليه الساخرون خلاصاً بشرياً زمنياً (النزول من عن الصليب). أمَّا يسوع فبشَّر لصّ اليمين بخلاص أعظم بكثير: «ستكون اليومَ معي».

إن هذا المجرم هو مثال التائب. إنه خاطئ يعترف بخطيئته ويتقبّل عقابه. فلقد قال: «عقابنا نحن عقاب عدل، لأننا نلقى ما تستوجبه أعمالنا». أعلن براءة يسوع، وفيما كان الجميع يسخرون من مُلْكه، أدلى هو بفعل إيمان فريد، بإعلانه مُلْك يسوع: «اذكرني، يا يسوع، اذا ما جئت في ملكوتك». كان يسوع ينازع، معلَّقاً على الصليب، عارياً، مذلَّلاً، منبوذاً، وإذا بمحتضر

الدينونة الأخيرية

ليس ما نسمّيه الدينونة العامَّة أو الأخيرية سوى تحقّق كل واحد مما هو عليه في الواقع. إنه الكشف عن حقيقة الكائنات.

متى تجري هذه الدينونة؟ «اليومَ»، الآن. يشدّد يوحنا كثيراً على هذا الأمر: كرَّر يسوع: من آمن بي، انتقل الى الحياة، فلا دينونة له ولا حُكم. حياتي الحاضرة هي موضوع دينونتنا. وهذه الدينونة هي الحقيقة، والتحقُّق من نجاح الكائنات أو فشلها، بحسب حرّيّتها. وليست في المستقبل، بل هي نظر الله إليَّ، الآن.

من تحدَّث عن الدينونة الأخيرية، تحدث عن الكشف للآخرين. لا يتمّ عمل الله إلاَّ حين يخلص جميع البشر، لأن الانسان لا يمكن أن ينال الخلاص وحده. لا أستطيع أن أنال الخلاص بمعزل من سائر الناس، بمعزل من الذين أنا مسؤول عنهم، بمعزل الوالدين من أولادهم، بمعزل البابا من كنيسته... هل يستطيع يسوع أن يكون في المجد، في حين أن في جهنَّم أناساً؟ من أجلهم جاء ومات: فهل يستطيع أن يخلص بمعزل منهم؟ فالدينونة الأخيرية تعني أنه ما من خلاص ما لم يكن تامًّا. لا ينال الانسان الخلاص إلاَّ إذا تمَّت البشرية كلها، إذا بلغ سر الكنيسة التاريخي أجله. الخلاص هو تحقيق شعب الله بكامله.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

يحدِّث هذا المحتضر بجلاله المَلَكي. إنه لإيمان عجيب!

كان في امكان يسوع أن يقول له: «ايمانكَ خلَّصكَ». وهذا ما قاله في الواقع: «الحق أقول لك، ستكون معي في الفردوس». دار نقاش حول المعنى الدقيق الذي يجب إضفاؤه على آنيَّة («اليومَ») الخلاص (الذي يرمز إليه الفردوس). من الراجح أن المقصود هو المشاركة الفورية في «الفردوس». في مثوى الأبرار عند اليهود. فإن «الآنيَّة» («اليومَ») عند لوقا كثيراً ما وردت بمعنى آنيَّة الخلاص: «اليوم حصل الخلاص لهذا البيت»، و «اليومَ وُلد لكم مخلِّص»، و «اليومَ تمَّت هذه الآية». ولكنْ لا يجوز لنا أن نستبعد تفسيراً آخَر، فيكون الفردوس المكان الذي تُنتظر فيه القيامة (كما في بعض النصوص اليهودية)، فإن لوقا كثيراً ما شدَّد على أن يسوع قام في اليوم الثالث. فيكون «اليوم» يوم الجمعة، ويكون معنى قول يسوع: «ستكون اليوم معي في مثوى الأموات الموقَّت». الاختيار صعب: فهل هو الخلاص الموقَّت في انتظار القيامة؟ أم هل هي المشاركة منذ اليوم في قيامة يسوع؟ مهما يكن من أمر، ما قيل للصّ هو أنه سيكون مع يسوع لن ينفصل عنه للأبد. أن يكون أحد مع يسوع، هذا هو الغفران وهذا هو الخلاص. ذاك الانسان النادم والذي يتقبّل عقابه، ذاك الانسان الذي عبَّر عن إيمانه العجيب بمُلْك يسوع، في اللحظة نفسها، «اليومَ»، بُشِّر بالخلاص.

وهذا المشهد الرائع، مشهد الغفران، ليس بطريق الصدفة أنه تمَّ في الجلجلة. فالتقليد المسيحي الأعرق في القدم يعلِّمنا أننا ننال الغفران في موت يسوع المسيح. هذا العمل الكريم الذي قام به يسوع، في اللحظة التي ذُلِّل فيها وأخذ ينازع وأوشك على الموت، هو أروع دليل منه على الخلاص: في ذلك بالذات، أكثرَ منه في غيره، هو «الربّ».

معنى الغفران

قرأنا أهمّ النصوص التي يروي لنا لوقا فيها، ضمناً أو صراحةً، ذلك الغفران الذي هو صيغة من صيغ الخلاص المثالية. وان أردنا أن نحلِّل معنى الغفران عند لوقا، وجب علينا أن نتَّبع هذا الموضوع في مراحل الخلاص الثلاث: زمن يسوع وزمن الكنيسة والأخيرية (أو آخِر الأزمنة).

آ) زمن يسوع

بشّر يسوع، في رسالته على الأرض، بغفران الله: «غُفرت لك خطاياك» و «اليومَ حصل الخلاص لهذا البيت» (أي أن الله منح الخلاص) و «اليومَ ستكون معي» (أي أن الله سيستقبلك معي في الفردوس). في هذه النصوص، بشَّر يسوع بغفران الله، فالله وحده يغفر الخطايا. ولكنَّ هناكَ نصَّين يرتبط فيهما الغفران بعمل من أعمال ابن الانسان: قال للمُقعد: «ان ابن الانسان له سلطان يغفر به الخطايا». وقال لزكّا: «ان ابن الانسان جاء يبحث عن الهالك ليخلِّصه». في هذين النصَّين، ليس الغافر هو الله، بل ان يسوع يمنح الغفران بسلطان شخصي. إذ ان ابن

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الانسان كُلِّف من قِبَل الله بأن يمنح غفران الله وخلاصه. وهذا ما يوافق زمن الفصح، لأن يسوع لم يفلِّد كل سلطانه على وجه نهائي إلاَّ في الفصح. أمَّا في حياته على الأرض، فاقتصر دوره في الغفران على التبشير به وعلى الإشارة إليه بحضوره: «قد اقترب ملكوت الله». قال بعضهم ان يسوع هو حضور الملكوت.

لا شك أن دور الخاطئ له شأن كبير في هذا الغفران، وهو التوبة. لا ترد الكلمة نفسها عادةً، ولكن هذا ما يعنيه الدور الذي قامت به الخاطئة أو زكَّا أو اللص. الغفران هو النعمة بكل معنى الكلمة، لكن لا بد أن تلقى حرية الله المطلقة حرية الانسان التامَّة. يعبَّر عن مجَّانية عمل الله بوجوه كثيرة: ففي حلقة المُقعد، تظهر في مبادرة يسوع: جاء المقعد يبحث عن شفائه، فقال له يسوع: «غُفرت لك خطاياك». لم يطلب كل ذلك! وفي حالة الخاطئة، ما يظهر أوَّلاً هو دور المرأة وتذلّلها ومحبتها. لكن الأدوار تنقلب في مَثَل الدائنَين: أحبَّت كثيراً لأنه غُفر لها الكثير. فالمثل يردّ أوَّلية النعمة. وفي حالة زكَّا، يشدَّد بوجه خاص على مبادرة الله في يسوع المسيح. أراد زكَّا أن يرى يسوع، لكن يسوع هو الذي دعاه ودعا نفسه الى دخول بيته. وبما أن زكَّا شعر بأنه محبوب ومغفور له، أصبح في امكانه أن يحبّ هو أيضاً. ففي جميع تلك الروايات، تتدخَّل بالتناسب حرية الانسان وحرية الله، لكن لوقا يشدِّد بقوله: البادئ دائماً هو الله.

ليس ذلك الغفران المتكرِّر سوى علامة، فهو لا يُمنح إلاَّ لبعض الأفراد. والحال أن ما نريده هو خلاص جميع الناس، وذلك الغفران هو حقيقي، وان كان محدوداً في المكان والزمان: فمن الراجح أن زكَّا والخاطئة وقعا بعد ذلك في الخطيئة. مهما يكن من أمر، لا يخفى علينا أننا وإن نلنا الغفران، لا نزال نخطأ. وليس ذلك الغفران في زمن يسوع إلاَّ علامة تدل على الغفران التام والنهائي والشامل، الذي ننتظره من الرب. ولا يمكن عرض الغفران على جميع الناس إلاَّ في خلاص الفصح.

ب) غفران الفصح

ان رسالة المسيح القائم من الموت، في مساء الفصح، تتّسم بميزة خاصة: «كُتب أن المسيح يتألّم ويقوم من بين الأموات في اليوم الثالث، وتُعلن باسمه التوبة وغفران الخطايا لجميع الأمم» (لو ٢٤ / ٤٦ — ٤٧). وفي يوم الفصح، أمكن دعوة جميع الناس الى التوبة لنيل ذلك الغفران الممنوح في يسوع المسيح. «ليعتمدْ كل منكم لغفران خطاياكم»: ستكون هذه الفكرة من ثوابت كرازة الرسل. بعد «الغفران العَلامة» الذي ظهر في زمن يسوع، أتى التبشير الشامل بالخلاص.

ما زال هذا الغفران غفران الله، الغفران الذي يمنحنا إيَّاه في يسوع المسيح، وهو يمنحنا إيَّاه لأنه أقام يسوع من الموت (لو ٢٤ / ٤٧ ورسل ٢ / ٣٨ و ٥ / ٣١).

وذلك الغفران، الذي تبشَّر به جميع الأمم، يقتضي التوبة دائماً. كثيراً ما ورد ذكره في سفر

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

أعمال الرسل ، كما ورد ذكر الايمان والمعمودية ، الإيمان الذي هو القوة الباطنية التي تدفع الى التوبة ، والمعمودية التي هي علامته الرسمية.

يقول لوقا لنا مرَّتين إن التوبة هي عطية من الله : «في يسوع المسيح مُنح اسرائيل عطية التوبة وغفران الخطايا» (رسل ٥ / ٣١). وبعد اهتداء قرنيليوس الروماني ، هتف يهود أورشليم : «قد منح الله الوثنيين أيضاً عطية التوبة» (رسل ١١ / ١٨). التوبة هي دور الانسان في غفرانه ، لكن هذا الدور هو نفسه عطية.

فالتوبة عند لوقا تُعلَن أولاً لبعض الناس ، في حياة يسوع على الأرض ، ثم تُبشَّر بها ، ابتداءً من الفصح ، جميع الأمم ، وتدخل في اطار المعمودية والإيمان. لكن الغفران في النهاية هو أخيري.

هل جميع الناس ينالون الخلاص؟

لم يذكر يسوع أي شيء من ذلك ، ولكن يجوز لنا أن نصدّقه. كثيراً ما تحدَّث يسوع عن جهنَّم ، ولكنه لم يقل إن فيها أناساً ، بل ليصرِّح بأنها خطر على كل إنسان. ذلك بأن يسوع يضع الانسان أمام خطره. لقد خلق الله الانسان حرًّا ، وهو يلعب لعبة الحرية. فهو يقبل أن نقول : لا ، ونحن جميعاً نلاحظ أن ذلك الخطر قائم.

وكيف أن يسوع المسيح والرسول والانسان المسؤول عن خلاص إخوته — ونحن جميعاً مسؤولون عنهم — لا يشعرون بالقلق أمام هذا الخطر الذي تعرِّض له الحرية؟ ولذلك كثيراً ما تحدَّث يسوع والقديسون عن جهنَّم. ولكن الانسان لا يستطيع أن يتحدَّث بالحق عن جهنَّم ، ان لم يكن صافياً. فإن صوَّرها بصورة انتقام يقوم به الله ، كان ساخراً من الله. لا ، فإن جهنَّم هي عزلتي. ان ألم أتعوَّد في حياتي أن أكون منفتحاً ، وان أبذل نفسي ، أبقى منغلقاً على يأسي ومحبوساً في تلك الدائرة الضيقة الخالية من الحب ، ولا أحقِّق نفسي. فلا يستطيع الانسان أن يحقِّق نفسه ، ما لم يبذلها.

فلا نستغرب قلق يسوع والقديسين ، أمام كثرة الناس الذين يبذّرون حياتهم ، غير عارفين ما هو الحب والعطاء ، ويتمسّكون بالتوافه ، ويعيشون في سبيل أشياء لا تليق بهم. واذا تحدث يسوع والقديسون عن جهنّم ، لا يفعلون ذلك للتدمير ، بل للتذكير بأن كل حرية معرَّضة للحياد عن الخط والتعطيل.

من الراجح أن جهنَّم لن تحتوي إلاَّ على لاهوتيين... ! اذ كيف نتصوَّر ان الناس كان لهم ، مدَّة حياتهم ، ما يكفي من النور والوعي ، لربط مصيرهم الأبدي؟ ما أقلَّ عدد الذين عرفوا الى أي حدّ أحبّهم الله! لنشرِّف الله باعتقادنا أنه رؤوف وأنه أفضل منا. ولنشرّفه بعدم الذهاب إليه عن خوف.

نحن نؤمن بأن الله خلق جميع الناس للخلاص وبأنه ينعم عليهم جميعاً بما لا غنى عنه لنيل هذا الخلاص.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ج) الغفران الأخيري

نبقى خاطئين، حتى بعد انضمامنا الى الكنيسة واعتمادنا في الروح القدس. والصلاة التي تركها لنا يسوع تتضمَّن دائماً «اغفر لنا خطايانا». وضعنا هو وضع خاطئين. وذلك الغفران الشامل النهائي، الذي دُلَّ عليه في حياة يسوع على الأرض وأُعلن لجميع الأمم عن يد الكنيسة في رسالة الفصح، ننتظره، مع جميع نتائجه، في مُلك الله. ذلك الغفران الالهي هو العهد الجديد والسلام النهائي والخلاص، وهو اليوم الذي «سنعرف فيه مثلما نحن معروفون» (١ قور ١٣ / ١٢) ويتمّ فيه تخطّي عدم ثبات زمننا على وجه نهائي.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

محتويات الكتاب

	الصفحة
انجيل لوقا	٥
* الميزات الأدبية في عمل لوقا	٥
* مشروع لوقا	٦
* أهم مواضيع الانجيل	٧
* صاحب الانجيل الثالث	٩
سر يسوع	١٢
* روايات الطفولة	١٢
١ . التبشير بيسوع	١٣
٢ . ميلاد يسوع	١٦
٣ . تقدمة يسوع في الهيكل	١٧
* التمهيد للرسالة	١٨
١ . اعتماد يسوع	١٩
٢ . نسب يسوع	٢٠
٣ . تجربة يسوع	٢١
* أوائل الرسالة	٢٢
١ . يسوع يباشر رسالته	٢٣
٢ . إحياء ميت في نائين	٢٤
٣ . شهادة بطرس	٢٤

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

٤ . مجد ابن الله (التجلّي) ٢٦
* الصعود إلى أورشليم ٢٨
١ . رسالة يسوع ٢٨
٢ . كُتب للنبي ان يموت ٣٠
٣ . يوم ابن الإنسان ٣١
٤ . مثل: المطالب بعرش يذهب ليحصل على المُلك ٣٣
* أورشليم ٣٥
١ . دخول يسوع إلى أورشليم ٣٥
٢ . نصوص أخرى ٣٧
* آلام يسوع ٣٧
١ . العشاء الأخير ٣٨
٢ . الصلاة في بستان الزيتون ٤٠
٣ . مثول يسوع أمام مجلس اليهود ٤١
٤ . نصوص أخرى ٤٢
* يوم الفصح ٤٢
الصلاة ٤٧
* صلاة يسوع ٤٧
١ . بالنظر إلى يسوع وهو يصلي ٤٨
٢ . صلوات يسوع ٥٢
* صلاة التلاميذ ٥٥
الغفران ٦١
محتويات الكتاب ٧٦

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

أنجزت «مؤسسة خليفة للطباعة» طباعة
كتاب «**دراسة في الانجيل كما رواه لوقا**»
في الحادي والثلاثين من شهر آذار ١٩٨٩

٥١ — ٥ — ٣١ / ٣ / ١٩٨٩

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com